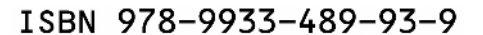

بسم الله الرحمن الرحيم


دور الخطاب الديني
في تغيير البنية الفكرية




ISBN 978-9933-489-93-9


رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٤: ٥٠٠

9 789933 489939 الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٩٣٩

الحسني ، نبيل، ١٩٦٥ ــ م.

دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد: خطاب زينب عليها السلام في مجتمع الكوفة أنموذجاً / دراسة وتحليل وتحقيق السيد نبيل الحسني. - الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م.

ص٢٣٨. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٤٠).

المصادر: ص ٢٠٩- ٢٢٦؛ وكذلك في الحاشية.

١. الإسلام - الإصلاح الفكري - نقد . ٢. الخطاب الديني - دراسة وتحليل. ٣ . الفكر الديني - تجديد نظر . ٤ . زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦ - ٦٢هـ. - الخطب - دفع مطاعن. ٥ . علم النفس الاجتماعي - العالم الإسلامي - الدراسات الميدانية . ٦ . الإسلام - حركات الإحياء والإصلاح والتجديد - شبهات .٧. زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦-٦٢هـ. - روابط - علم النفس الاجتماعي . ألف. السلسلة. ب . العنوان

BP 229 .H3767 D97 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

دور الخطاب الديني (عليها السلام)

في تغيير البنية الفكرية

بين الإصلاح والإفساد

خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) في الكوفة انموذجاً

دراسة في ضوء القرآن والسنة وعلم النفس الإجتماعي

دراسة وتحليل وتحقيق

السيّد نبيل الحسني

إصدار

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



الإهداء

إلى عقيلة الطالبيين

وحفيدة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

إلى شبيهة خديجة الكبرى وبنت فاطمة العظمى عليهما السلام.

إلى شبه النبأ العظيم ولسان إمام المتقين عليه السلام.

إلى ريحانة رياحين حبيب رب العالمين عليهما السلام.

إلى قرة عين الحسن ونور عين الحسين عليهما السلام.

إلى عمتي السيدة زينب عليها السلام

أهدي هذا العمل.

خادمكم وولدكم نبيل

مقدمة الكتاب

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، جم عن الإحصاء عددها ونأى من الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراك أبدها)[1].

والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وعلى آله الهداة إلى الإسلام؛ وبعد:

إن النظر إلى الدعوات والأبحاث التي أخذت بعهدتها تناول الخطاب الديني في وقتنا المعاصر مع كثرتها تدفع بالإنسان إلى التأمل والتفكر في هذا العرض الذي بدأ يعلو وسائل نقل المعلومة إلى الناس جميعاً سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

ويمكن لنا من خلال هذه القراءة والتأمل أن نخلص إلى مجموعة عناوين ركزت عليها هذه الدعوات والأبحاث، فكانت كالآتي:

---

(١) هذا ما ابتدأت به بضعة النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها بالمسجد النبوي الشريف.

١ ــ تجديد الخطاب الديني.

٢ ــ سمات الخطاب الديني.

٣ ــ نقد الخطاب الديني.

٤ ــ آليات الخطاب الديني.

فهذه العناوين وإن كانت متقاربة في الغاية وهي معالجة المجتمع المسلمين لما أصابه من تدهور وتفرق وتناحر فضلاً عن الاختلاف في المفاهيم القيمية.

إلاّ أنها لم تستطع من وضع يدها على الجرح وذلك لعدم تمكنها من تقديم رؤية مجردة عن القيم النشئوية والعقدية التي ينهل منها الكاتب؛ بل إن الانقياد لهذه القيم كان هو المحرك لهذا الخطاب.

ومن ثم لم يزل الخطاب الديني هو هو، بل لا يمكن أن يخرج هذا الخطاب عن عنوانه (الديني) وهو مقيد بتلك النشأة والعقيدة.

وعليه:

لابد من الرجوع أولاً إلى عناصر أساسية كانت بمجموعها مكونات لهذا الخطاب وهي كالآتي:

١ ــ ما هو الدين كي ينسب إليه الخطاب فتكون سمته دينيّاً؛ وبمعنى آخر: مرجعيات هذا الخطاب ومناهله.

٢ ــ ما هي آليات فهم النص الديني، ومن وضعها؟

٣ ــ من هم أهل الدين، وما هي سماتهم، ومن حدد هذه السمات؟ وهل اتفق المسلمون عليهم؟

٤ ـ أعمال العقل أم حاكمية الجهل؟

٥ ـ قداسة النص أم نص القداسة؟

فهذه العناصر والمكونات للخطاب الديني لا شك كان لها الدور الفعال والمؤثر في تغيير البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي منذ القرن الأول للهجرة النبوية وإلى يومها هذا.

إلاّ أننا ومن خلال لوازم المنهج البحثي وجدنا أن التوقف عند هذه المكونات ودراستها يحقق لنا رؤية واضحة عن الخطاب الديني كما يظهر لنا حقيقة دوره في تغيير البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي الذي كان كتابه القرآن ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ثم فإن التوقف عند خطاب العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام الذي أعقب التحول الكبير في تغيير البنية الفكرية للمجتمع المسلم بفعل أدوات الخطاب الديني فأقدم على قطع رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذبح طفله الرضيع وهو في حجر أبيه، وسلب بنات علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبيهن من بلد إلى بلد من بلاد المسلمين!! وهم ينظرون إليهن كأنهم من أهل ملة أخرى؛ فضلاً عن تقطيع رؤوس أبناء علي بن أبي طالب عليهما السلام وبعض الصحابة، ومن سار بهديهم، وهم أهل خير القرون ــ كما يدعون ـ كل ذلك ينص على تحول كبير وتغيير في البنية الفكرية للمسلمين بفعل الخطاب (الديني) الذي لم تزل الأمة الإسلامية ترزخ تحت تداعياته حتى

أصبح الناظر لا يعرف من الدين إلا تلك الصور الدموية التي تمنهجت لدى فرق كثيرة، وفئات عديدة فاصطبغ بها خطابها الديني وتأثرت به حواضنها الاجتماعية فتقولبت بها بنيتها الفكرية فكانت خلفاً لذلك السلف مما يتطلب معالجات كالتي اعتمدتها عقيلة بني هاشم في خطابها الديني في تلك المجتمعات الإسلامية التي دخلتها وهي مسبية على الرغم من أن النبي الذي يشهدون له بالنبوة هو جدها صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

اتخذنا من خطابها عليها السلام أنموذجاً يعالج البنية الفكرية للمجتمع المسلم لاسيما ونحن نشهد اليوم نسخاً لتلك القيم والمبادئ والنتائج التي أفرزها الخطاب الديني المفضي إلى تقطيع الرؤوس وذبح الأطفال وسبي النساء.

فأين القرآن وبيانه، وأين السنة وهديها، وأين الصحابة وإيمانهم، والتابعين وسلوكهم؟ أفكان أهل خير القرون فاقدين لسمات الخطاب الديني الذي ينادي به الخلف، أم أن دعوات التجديد يراد بها تحقيق ما عجز عنه بعض السلف؟

إنها أسئلة كثيرة نحاول الإجابة عليها في هذا البحث.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

السيد نبيل بن السيد قدوري بن السيد حسن بن السيد علوان بن السيد جاسم بن السيد حسين الحسني الكربلائي.



المبحث الأول

مصطلح الخطاب الديني، ما هو؟

يأخذنا لفظ الخطاب ولفظه الرديف (الديني) إلى بعض المناهل اللغوية وغيرها كي نضع أيدينا على دلالة اللفظ ومن ثم الوصول إلى بغيتنا في معرفة المعنى الذي تركب منه مصطلح (الخطاب الديني).

ولذا: وجدنا أن التوقف عند هذين اللفظين من ضرورات البحث.

المسألة الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون

أولاً: الخطاب لغة

يذهب الفراهيدي (المتوفى ١٧٥هـ) إلى اختصار الدلالة ويوجز في البيان فيقول في معنى (الخطاب)، (مراجعة الكلام)[١].

وهي عند الجوهري (المتوفى ٣٩٣هـ): (وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً)[٢]، ويفهم منه ما أراده الفراهيدي، أي: مراجعة الكلام بين المتكلم والسامع.

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي: ج٤، ص٢٢٤.

(٢) الصحاح للجوهري: ج١، ص١٢١.

في حين يظهر أحمد بن فارس (المتوفى ٣٩٥هـ) معنى أوضح لهذا اللفظ، فقال:

(خطب): الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك[١].

وقريب منه قال الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ):

خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو ا لمواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطابها[٢].

وقد حاول ابن منظور (المتوفى ٧١١هـ) الجمع فيما قاله أهل اللغة من قبله فقال:

(والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان؛ والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ قال أبو منصور: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلاّ على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب فوضع موضع المصدر)[٣].

ويمكن الخروج بمعنى واحد لهذه الأقوال وهو: الكلام الذي يخرج من فم المتكلم إلى السامع غالباً إذ قد يتوجه المتكلم بالكلام إلى العجماوات،

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص١٩٨.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ص٢٣٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور: ج١، ص٣٦٠.

ومن ثم لم يقدم أهل اللغة دلالة تفيد تمام المعنى في ذهن القارئ، إذ لا دلالة لقولهم: مراجعة الكلام بدون قرينة توضح معنى المراجعة وعليه: ينصرف الذهن إلى أنها محصورة بما يتكلم به المتكلم وهو على المنبر أو مكان مرتفع أو في جمع من الناس قلوا أو كثروا.

وهذا المعنى لا يوصل القارئ إلى المعنى الحقيقي للفظ (الخطاب) ولذا لابد من الرجوع إلى كتاب الله تعالى وما ورد فيه لهذه اللفظة التي يتكشف معناها من خلال سياق النص القرآني الكريم. وهو ما نحاول الوصول إليه في ثانياً.

ثانياً: الخطاب في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم بعض الاستعمالات لمادة (خطب) فكانت على خمسة موارد، منها اثنان بلفظ: (الخطاب) وثلاثة منها هي: (خاطبهم) و(تخاطبني) وقد جاءت مرتين، وهي بحسب الذكر الحكيم كانت كالآتي:

ألف:

قال تعالى: ﴿...فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[1].

قال الشيخ الطوسي: (أي غلبني في محاورة الكلام)[2].

وعند الصنعاني هي: (قهرني في الخصومة)[3].

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٢) التبيان: ج١، ص٤٦٨.

(٣) تفسير الصنعاني: ج٣، ص١٦٣.

وعند النحاس: (قهرني لأنه أعز مني)[1].

وهذه الأقوال الثلاثة قريبة من المعنى اللغوي القائل بأن الخطاب: مراجعة الكلام بين الاثنين، في حين يستفاد من سياق الآية ودلالتها بأن الخطاب بيان الحجة والإقناع أو الغلبة في الكلام.

باء:

قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2].

والآية المباركة اختلف في تفسيرها المفسرون وتعددت الأقوال في معنى ((فَصْلَ الْخِطَابِ))، على النحو الآتي:

١ ـ قال مقاتل بن سليمان: (وأعطيناه فصل القضاء، البينة على المدعي واليمين على من أنكر)[3].

٢ ـ قال سفيان الثوري: (فصل الخطاب): (فصل القضاء)[4].

٣ ـ وقد جمع ابن جرير الطبري مجموعة من الأقوال، فقال:

(واختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم: عني به أنه القضاء والفهم به، قال ابن عباس: أعطيناه الفهم، وعن مجاهد: إصابة القضاء وفهمه، وعن السدي: علم القضاء وعن ابن زيد: الخصومات التي يتخاصم

---

(١) معاني القرآن للنحاس: ج٢، ص٢١٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ج٣، ص١١٥.

(٤) تفسير الثوري: ص٢٥٧.

الناس إليه فصل ذلك الخطاب الكلام والفهم، وإصابة القضاء والبينات، وقال آخرون: بل معنى ذلك وفصل الخطاب، بتكليف المدعي البينة واليمين على المدعى عليه وعن الشعبي: أنه قال: قول الرجل: أما بعد.

ويذهب الطبري بعد عرضه لهذه الأقوال إلى القول:

(وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع، والخطاب هو المخاطبة).

ثم يعترض على هذه التأويلات وذلك لعدم ورود خبر فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخلص إلى القول في ذلك، (فالصواب أن يعمّ الخبر كما عمّه الله فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب)[1].

في حين: نجد أن المعنى الألصق لما جاءت به الآية المباركة في بيان معنى فصل الخطاب ما بيّنه السيد العلامة الطباطبائي فقال: (وفصل الخطاب: تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره وتمييز حقه من باطله وينطبق على القضاء بين المتخاصمين في خصامهم)[2].

وهذه الأقوال لم توصل المعنى إلى المستوى الذي ينكشف فيه (فصل الخطاب) وقد جعله الله تعالى من ضمن سلم المنح ومراتبه التي تفضل بها

---

(١) جامع البيان للطبرسي: ج٢٣، ص١٦٧.

(٢) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١٧، ص١٩٠.

على الأنبياء عليهم السلام، كما يشير سياق الآية المباركة، فكان فصل الخطاب استحقاقاً رتبيّاً كشد الملك، والحكمة؛ وهذه الرتبة، أي الحكمة يتحدث عنها القرآن في بيان دلالي يرشد إلى حجم فضلها فيمن اختصه الله بها فيقول سبحانه:

١- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1].

فهذا الخير الكثير يتحدث عنه الإمام الصادق عليه السلام فيقول في بيان معنى الآية:

«الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمرة الصدق، وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمة للقلب، قال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾»[2].

٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[3].

فكان إيتاؤه الحكمة ملازمة للشكر لله.

وقد جاء في معنى الآية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص١٩٨؛ البحار للمجلسي: ج١، ص٢١٦.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.

«الفهم والعقل»[(١)].

وعليه:

لم يستطع المفسرون تقديم بيان يكشف معنى ((فَصْلَ الْخِطَابِ)) وسمته التي نالها داود النبي عليه السلام، فضلاً عن ذلك فقد أشارت الروايات الشريفة إلى أنها من بين السمات التي خص الله بها رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أهل بيته عليهم السلام، لاسيما أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام؛ فمما كان منها على سبيل الاستشهاد:

١ ـ عن أبي الطفيل، قال: (قام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنبر فقال:

«إنّ الله بعث محمداً بالنبوة واصطفاه بالرسالة، فإياك والناس وإياك، وعندنا أهل البيت مفاتيح العلم، وأبواب الحكمة، وضياء الأمر، وفصل الخطاب، ومن يحبنا أهل البيت ينفعه إيمانه، ويتقبل منه عمله، ومن لا يحبنا أهل البيت لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل منه عمله، وإن أدأب الليل والنهار لم يزل»)[(٢)].

٢ ـ وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أنا قسيم الله بين الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلاّ على حد قسمي، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدي، والمؤدي عمن كان

---

(١) تحف العقول للحراني: ص٣٨٦.

(٢) المحاسن للبرقي: ج١، ص٢٠٠؛ شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج٣، ص٩.

قبلي، لا يتقدمني أحد إلا أحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإني وإياه لعلى سبيل واحد إلا أنه هو المدعو باسمه ولقد أعطيت الست: علم المنايا، والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تكلم الناس»[1].

٣ ـ ومما رواه الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفاطمة عليها السلام حينما حضرته الوفاة ورآها تبكي فأخذ يحدثها عن مناقب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كي يذهب عنها الهم والحزن.

والرواية عن سلمان الفارسي عليه الرحمة والرضوان، قال:

(كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه التي قبض فيها، فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يبكيك يا فاطمة؟».

قالت:

«يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك».

فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال:

«يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع

---

(١) الكافي للكليني: ج١، ص١٩٨.

إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبيا ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختار منها زوجك وأوحى إلي أن أزوجك إياه وأتخذه وليا ووزيرا وأن أجعله خليفتي في أمتي فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي، ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم، أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما».

فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

«يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلمه بكتاب الله عز وجل وسنتي وليس أحدٌ من أمتي يعلم جميع علمي غير علي عليه السلام وإن الله عز وجل علمني علما لا يعلمه غيري وعلم ملائكته ورسله علما فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه وأمرني الله أن أعلمه إياه

ففعلت فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وحكمتي غيره، وإنك يا بنية زوجته، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله جل وعز آتاه الحكمة وفصل الخطاب، ويا بنية إنا أهل بيت أعطانا الله عز وجل ست خصال لم يعطها أحدا من الأولين كان قبلكم، ولم يعطها أحدا من الآخرين غيرنا، نبينا سيد الأنبياء والمرسلين، وهو أبوك، ووصينا سيد الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك».

قالت عليها السلام:

«يا رسول الله هو سيد الشهداء الذين قتلوا معه؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا بل سيد شهداء الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والأوصياء، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة وابناك حسن وحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة، ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما»[1].

والحديث الشريف له تكملة إلا أننا ذكرنا هذا المقدار ففيه الكفاية لبيان ما اختص الله به محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم فكان مما آتاهم

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ص٢٦٣.

فصل الخطاب.

ومن ثم لا يعد المعنى الذي أشار إليه المفسرون في بيان ((فَصْلَ الْخِطَابِ)) هو: (أما بعد، أو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، أو علم القضاء، أو غير ذلك من مراتب فضال الأنبياء ومختصاتهم التي فضلهم الله بها على الناس) لاسيما ونحن نشهد اليوم كثرة المحاكم والقضاة في مختلف البلاد والتشريعات.

إذن:

يلزم أن يكون فصل الخطاب من السمات التي انحصر وجودها في النخبة المصطفاة من قبل الله تعالى مما يلزم أيضاً أن يكون له معنى آخر أرقى بكثير مما نطق به المفسرون لهذه الآية لاسيما وأنها قدمت الملك، والحكمة لفصل الخطاب فكان من مقتضيات شخصية داود النبي عليه السلام.

بمعنى:

إن فصل الخطاب هو ملكة راسخة في النفس مختصة بالكلام مع الناس وإقناعهم والتأثير فيهم ومعرفة كوامن منطقهم فإن حاججوا خصموا وإن خاطبوا أبلغوا، وإن استمعوا فهموا، وإن حاوروا أعلموا؛ ولولا ذلك لما كلفوا بالرسالة والنذارة والبشارة وغيرها من وظائف الرسالة الإلهية إلى الخلق.

كما دلت الروايات الواردة عن عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المعنى.

أما بقية النصوص القرآنية التي حملت مادة (خطب) فكانت كما في الفقرة جيم.

جيم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[١].

وقد ذهب الزمخشري إلى معنى الآية بقوله: (حادثوهم بما فيه سفه وسوء جهالة)[٢].

وقال الشيخ الطبرسي: ((وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ)) بما يكرهونه أو يثقل عليهم ((قالوا)) في جوابه ((سلاما))[٣].

دال:

قال تعالى: ﴿ ...وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا... ﴾[٤].

قال الشيخ الطوسي في بيان معنى ((وَلا تُخَاطِبْنِي)): (نهي لنوح عليه السلام أن يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله في أمرهم بأن يمهلهم ، ويؤخر إهلاكهم لأنه حكم بإهلاكهم وأخبر بأنه سيغرقهم، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به)[٥].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) الكشاف للزمخشري: ج٣، ص٢٨٣، ط دار الكتب العلمية.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص٣١٠.

(٤) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٥) التبيان للشيخ الطوسي: ج٥، ص٤٨٢.

ويفيد هذا القول للشيخ الطوسي بأن المعنى المراد بـ((ولا تخاطبني)) مراجعة الله تعالى في الكلام؛ وهو لا يخرج عن المعنى الذي ذهب إليه اللغويون.

ولذا: نجد أن الطبري وغيره من المفسرين، لم يخرج عن هذا المعنى فقال: أي، ولا تراجعني، قال: تقدم أن لا يشفع لهم عنده[1].

هاء:

قال تعالى: ﴿...الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[2].

وفي معناها يقول الزمخشري: (والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم من أهل السماوات والأرض)[3].

أي: لا يخرج قول المفسرين عن المعنى الذي أراده اللغويون، ومن ثم يبقى المعنى منحصراً في مراجعة الكلام وهو غاية ما ذهب إليه أهل اللغة والتفسير في بيان معنى (الخطاب).

ثالثاً: ما هي الخطابة؟

عُرّفت الخطابة: بأنها فن نثري غايتها التأثير في نفس السامع وهي مصدر خطب يخطب، أي صار خطيباً، وهي على هذا صفة راسخة في نفس

(١) تفسير الطبري: ج١٢، ص٤٥؛ تفسير السمرقندي: ج٢، ص١٤٩.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري: ج٤، ص٢١٠.

المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[(١)].

ولذا:

فإن كل الأمم في حاجة إلى الخطابة، وكانت العرب من أحوج الأمم إليها ولذلك ارتقت في الخطابة مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الأمم إذ لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمة.

ولا شك أن كل قوم لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جبانهم ويشد جنانهم ويثير أشجانهم ويستوقد نبارهم صيانة لعزهم أن يستهان ولشوكتهم أن تستلان وتشفياً بأخذ الثأر وتحرزاً من عار الغلبية وذل الذمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا أحوج الناس إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأبيد مفاخرهم؛ ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر)[(٢)].

وهذا الموروث المعرفي والاجتماعي قد ترك أثراً في رسم معالم معنى (الخطاب) لدى الإنسان العربي فضلاً عن المسلم وذلك لتبني النبي المصطفى

(١) الخطابة أصولها وتاريخها، تأليف: أحمد أبو زهرة: ص١٥٠، ط دار الفكر العربي لسنة ١٩٣٤، القاهرة.

(٢) نفح الطيب في الخطابة والخطيب لمعروف الرصافي: ص٥ ـ ٦، ط مطبعة الأوقاف الإسلامية بدار الخلافة العلية لسنة ١٩١٧م، الطبعة الأولى.

صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم وأصحابه هذا النمط في الحديث مع الناس في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية وما يتعلق بالسلم والحرب وغيرها من شؤون الأمة.

وكيف إذا أخذنا بعين الاعتبار ما شرعه الإسلام من أعمال خاصة ليوم الجمعة فكان سنامها خطبة الجمعة وما تتضمنه من عرض لقضايا الإسلام والمسلمين فعمل ذلك على ترسيخ مفهوم واحد في أذهان المسلمين حول (الخطاب) وهو ما ينطق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام أو الواعظ في جمع من المسلمين وسمي هذا الكلام بالخطاب.

ثم اتصف بعد ذلك هذا الخطاب بصفة الكلام ومراده الذي قصده الخطيب فكان خطاباً سياسياً حينما يتناول الخطيب شؤون الدولة وسلوكها فإما مؤيد لها أو معارض.

أو يكون الخطاب دينياً، ولمعرفة كونه دينياً فلابد من معرفة ما هو الدين؟

وهو ما سنتناوله في المسألة القادمة.

المسألة الثانية: ما هو الدين كي يتصف به الخطاب فيكون دينياً؟

إن علاقة الإنسان بالدين نشأت منذ أن وجد الإنسان من خلال المنظور القرآنية الذي تحدث عن هذه العلاقة في علة خلق آدم عليه السلام، فكانت علاقة الخليقة بالخليقة علاقة تلازمية.

أما من المنظور الأنثروبولوجي فإن الإنسان منذ أن فتح عينيه في هذه الحياة وعايش الظواهر الحياتية من جوع وعطش ومرض وخوف وصراع وموت، فضلاً عن تداخل الموجودات الأخرى في حياته كالنباتات والحيوانات والنجوم والمياه والنار والرياح والبراكين والأمطار وغيرها، فإنه بحاجة إلى شيء يعتقد فيه النفع ويدفع عنه الضر فكانت حاجته إلى المعتقد حاجة فطرية اختلطت فيها حواسه وعقله وقلبه؛ ولذا: نشأ عنده الاحتياج للماورائيات واللامرئيات.

من هنا:

ذهب الفيلسوف (هيجل) إلى: (أنّ الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى دين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق)[1].

والسبب في ذلك يعود إلى: (أن التدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري، بوهر في صميم ماهية الإنسان مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء)[2].

ويبقى السؤال يبحث عن إجابة أوضح، ما هو الدين؟

---

(١) مجلة المعرفة، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص٧، نقلاً عن: موسوعة العلوم النفسية لهيجل: ص٤٧ ـ ٤٨، ترجمة د. إمام عبد الفتاح، ط دار التنوير.

(٢) المصدر السابق، نقلاً عن: الزمان والأزل، مقال في فلسفة الدين: ص٤٠، ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم.

أولاً: تعريف الدين

إنّ تعدد المعتقدات وتنوع الديانات واختلاف المذاهب كل ذلك جعل للدين مجموعة من التعريفات، فكانت كالآتي:

١ ـ يعد الدين بمثابة أداة روحانية لبناء القيم البشرية وأحداث تعديلات داخلية إيجابية في النفس البشرية بحيث تسعى إلى الخير والحق والإحساس والمسؤولية اتجاه كل من النفس والأسرة والمجتمع بعامة، والابتعاد عن الخطيئة.

وعُرِّف أيضاً: بأنه اعتقاد الناس بوجود ذات أو ذوات فوق البشر والطبيعة، لها قدرات على تدبير شؤون البشر والكون، الأمر الذي يدعو إلى وجوب علاقة بين البشر وتلك القوى المدبرة.

كما عُرّف الدين: بأنه نظام من أنظمة الإيمان والعبادة، فهو عبارة عن مجموعة من المعتقدات المقدسة المؤكدة مع إيراد بعض التكاليف الواجب مراعاتها وبعض الممارسات الاجتماعية.

ويرى آخرون أن الدين استرضاء لقوة عليا ليطلب منها العون حيث قدرتها في التحكم بالحياة، فالدين إذاً أمران؛ أولهما الاعتقاد بوجود قوى عليا متحكمة، وثانيهما إجراء ممارسات لإرضاء هذه القوى العليا[١].

في حين كان لتعريف الدين عند علماء المسلمين معنى آخر، فمنها:

---

(١) جغرافية المعتقدات الدينية لمحسن عبد الصاحب المظفر: ص٦١.

١ ـ قال الشيخ الطوسي رحمه الله (توفي سنة٤٦٠هـ) في بيان معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[1].

(معنى الدين ههنا الطاعة، فمعناه إن الطاعة لله عزّ وجل هي الإسلام)[2].

٢ ـ وعرّف الدين السيد العلامة الطباطبائي (توفي سنة ١٤١٢هـ) فقال:

(الذي يدعى إليه الناس بمنطق الدين الإلهي: هو الشرائع والسنن القائمة بمصالح العباد في حياتهم الدنيوية والأخروية، لا أنه يضع مجموعة من معارف وشرائع ثم يدّعي أن المصالح الإنسانية تطابقه وهو يطابقها، فافهم ذلك، وإياك أن تتوهم أن الدين الإلهي مجموعة أمور من معارف وشرائع جافة تقليدية لا روح لها إلا روح المجازفة بالاستبداد، ولا لسان لها إلا لسان التأمر الجاف والتحكم الجافي، وقد قضى شارعها بوجوب اتباعها والانقياد لها تجاه ما هيأ لهم بعد الموت من نعيم مخلد للمطيعين منهم، والعذاب المؤبد للعاصين، ولا ربط لها يربطها بالنواميس التكوينية المماسة للإنسان الحاكمة في حياته القائمة بشؤونها القيمة بإصلاحها فتعود الأعمال الدينية أغلالا غلت بها أيدي الناس في دنياهم، وأما الآخرة فقد ضمنت إصلاحها إرادة مولوية

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) التبيان للشيخ الطوسي: ج٢، ص٤١٨.

إلهية فحسب، وليس للمنتحل بالدين في دنياه من سعادة الحياة إلا ما استلذها بالعادة كمن اعتاد بالأفيون والسم حتى عاد يلتذ بما يتألم به المزاج الطبيعي السالم، ويتألم بما يلتذ به غيره.

فهذا من الجهل بالمعارف الدينية، والفرية على ساحة شارعه الطاهرة يدفعه الكلام الإلهي، فكم من آية تتبرأ من ذلك بتصريح أو تلويح أو بإشارة أو كناية وغير ذلك.

وبالجملة الكتاب الإلهي يتضمن مصالح العباد، وفيه ما يصلح المجتمع الإنساني بإجرائه فيه، بل الكتاب الإلهي هو الكتاب الذي يشتمل على ذلك، والدين الإلهي هو مجموع القوانين المصلحة، ومجموع القوانين المصلحة هو الدين فلا يدعو الدين الناس إلا إلى إصلاح أعمالهم وسائر شؤون مجتمعهم ويسمي ذلك إسلاما لله، لان من جرى على مجرى الإنسان الطبيعي الذي خطه له التكوين فقد أسلم للتكوين ووافقه بأعماله فيما يقتضيه وموافقته والسير على المسير الذي مهده وخطه إسلام لله سبحانه في ما يريده منه)[1].

٣ ـ قال الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣هـ) في معنى الدين:

(فإن قال قائل: فما معنى الدين عندكم؟ قيل له معنى الدين يتصرف على وجوه، منها:

ألف: الدين بمعنى الجزاء؛ ومنه قوله تعالى:

---

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٨، ص٣٠٠.

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[١].

باء: ومنها، قول الشاعر:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل   **واعلم بأن كما تدين تدان**

جيم: وقد يكون بمعنى الحكم كقوله:

﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾[٢].

دال: وقد يكون الدين بمعنى الدينونة ـ بالمذاهب والملل، ومنها قوله: فلان يدين بالإسلام أو اليهودية؛ أي إنه يتدين بذلك على معنى أنه يعتقد وينطوي عليه ويتقرب به.

هاء: والدين أيضاً بمعنى الانقياد والاستسلام لله عزّ وجل، من ذلك قوله:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[٣].

يريد دين الحق لا على أن اليهودية لا تسمى دينا في اللغة وغيرها في الأديان)[٤].

٤ـ قال الشهرستاني (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) في الملل والنحل في بيان معنى الدين:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني: ص٣٨٧.

(معنى الدين أنه الطاعة والانقياد، وقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾.

وقد يرد معنى الجزاء، يقال كما تدين تدان، أي كما تفعل تجازى وقد يرد معنى الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[1].

فالمتدين هو المسلم المطيع المعز بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد، قال الله تعالى:

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[2].

ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه والاستعداد لمعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع هذه على الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة)[3].

ثانيا: الاتجاهات المعاصرة لبيان معنى الدين وفهمه

هناك اتجاهات ثلاثة معاصرة ظهرت في الساحة الفكرية بين المدارس الشرقية والغربية لتنقل فهمها عن الدين وبيان معناه، وذلك حسب الآتي:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص٣٨.

ألف: فكرة الدين بمنظار رأسمالي برجوازي

يندرج هذا الاتجاه في ضمن معطيات ثقافية مستمدة من تجرد أصحابها من الاعتقاد بوجود الله عزّ وجل، ومن ثم أخذت تبحث عن البديل في فهم ما يختلج في عقل الإنسان وانقياد فطرته إلى اللجوء إلى القوة المدبرة لهذا الكون، ولذا؛ حينما انحصر هذا الفهم في المادة ظل الفهم يدور في فلكها فنتج عنه تصورات ـ فاسدة ـ عن الدين الذي ينقاد له العقل؛ بمعنى: أن لهذا الكون مدبراً واحداً وهو الله تعالى.

أما أول من طرح هذا المجال (فهو توماس غوبس ـ ١٥٨٨، ١٦٧٩م) فكوّن فكرة عن جوهر الدين مفادها: أنه يقوم على اختلافات تطلقها الدولة، أما التلفيقات الصادرة عن غير الدولة فهي مجرد خرافات.

وإن أفكاراً مماثلة أطلقها (بينيد يكت) (١٦٢٢ ـ ١٦٧٧) تقول: إن جذور الدين كامنة في عدم ثقة الإنسان بقواه وفي تقلبه الدائم بين الأمل والخوف.

وقدم (جون تولاند) في أوائل القرن الثامن عشر (عرضاً مفاده، أن أكثر الأشكال تقدماً للدين الوثني هو الإيمان بالروح ووجودها بعد الموت، وبهذا كشف عن نشوء عبادة (عالم الموتى لدى المصريين القدماء).

ويرى (بول أندي غولباخ) بأن الدين يرتبط بالخداع، وأن جذوره تتصل بالمآسي والخوف لدى البشر المعذبين، ويرى أن البدء كان الخوف لدى البشر المعذبين الأولين، فاعتقدوا أن الكوارث الطبيعية بالذات ما هي إلا أشياء

مادية، ثم أصبحوا يخضعون لموجودات غير مرئية، وكأنها تقاد وتوجه من هذه الأشياء، وأخيراً مع تطور تصوراتهم، وتوصلوا إلى فكرة وحدة السبب الأول (العقل الأسمى، الإله).

وظهر في نهاية القرن الثامن عشر في فرنسا المفكران (فولينه) و(ديو بيوى) اللذان توصلا إلى أصل الدين وتطوّره، ودعيت نظريتهما فيما بعد بالطبيعية أو السماوية، حيث تطور الوعي السماوي (الميثولوجي) عند الإنسان عن العالم.

ثم تطورت المدرسة الميثولوجية في بداية القرن التاسع عشر، حيث تم التوصل إلى أن القدماء كانوا في معتقداتهم يؤلهون الظواهر السماوية[1].

باء: التفسير الأنثروبولجي للدين

حاول في هذا المنحى (لودفيكل فيورباخ) تفسير جوهر الدين وجعله مبنياً على الأساس البشري الأنثروبولوجي وذلك سنة ١٨٤٥م، وإن مادة الدين ما هي إلاّ مادة المصالح البشرية ومتطلباتها وأن الآلهة تجسيد لرغبات الإنسان.

وبنى (ادوارد تايلور) نظريته الثقافية البدائية والتي سماها بـ(النظرية الروحية) (الأنيمية) حيث يشكل الإيمان بـ(الموجودات الروحية) الحد الأدنى للدين أي الأنفس والأرواح وما يماثلها، لقد تولد هذا الإيمان بسبب الاهتمام

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص٦٢.

الخاص الذي أولاه الإنسان البدائي لتلك الظواهر المعينة التي كان يعانيها مع أقرانه: الحلم، الغيبوبة، الهلوسة، الأمراض، وآخرها الموت، ولقصوره في تكوين فهم صحيح يفسر أمثال هذه الظواهر، استقر رأيه على تصوير النفس فيه، مرافقاً صغيراً يستقر في جسد الإنسان قادراً على مغادرته لفترة أرواح الأموات ومصائرها وعن انتقال الأنفس إلى أجساد جديدة أو عن عالم خاص بعد الموت وما شابه، وتتحول الأنفس تدريجيا إلى أرواح ومن ثم إلى آلهة، تنتهي إلى إله واحد وهكذا حدث الارتقاء التدريجي من (الأنيمة البدائية).

وقد جرت اعتراضات كثيرة على النظرية الأنيمية من المدافعين عن الدين، الذين رأوا في الأنيمية نقيضاً للمبادئ الإنجيلية الكنيسية وظهرت نظرية (التوحيد البدائي) كبديل ونقيض للنظرية الأنيمية، وقد أوردت أفكاراً عن الإلهية السماوية واعتقاد الشعوب القديمة البدائية في إله خالق واحد[1].

جيم: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين

ولد هذا الاتجاه في أواخر القرن التاسع عشر وهو يؤلف مدرسة فرنسية اجتماعية جاء بها (إميل ديور كهايم) (١٨٥٨ ـ ١٩١٧م)؛ إذ أعلن ديوركهايم عن أن الدين ظاهرة اجتماعية (أشكال الحياة الدينية الأولى، النظام الطموطمي في أستراليا)، وانتقد المذهبين الطبيعي (Naturism) والروح (Animism) في أصل الدين، واعتقد أن المعتقدات الدينية، لم تتولد لا بمراقبة الإنسان للطبيعة الخارجية ولا بمراقبته للطبيعة الخاصة به، فهذه المعتقدات

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص٦٢ ـ ٦٣.

أمكن تواجدها في المجتمع فحسب (التصورات ضمن المجموعات) والتي لا تقتبس بالتجربة بل بالوعي الإنساني للوسط الاجتماعي.

إن أشكال المجتمع المختلفة ومراحله توجد أشكالاً من الدين مختلفة، وبذلك وجدت نظريته نجاحاً برغم ما انتابها من أخطاء، أبرزها تأكيده على خلود الدين بدوام بقاء المجتمع.

وظهرت إثرها نظريات اجتماعية أخرى حول الدين منها ما أطلقه الباحثان (د. ديووي وو.جيمس) من وجهة نظر نفعية (أن الأمر الهام في الدين ليس ما إذا يستجيب لحقيقة ما قائمة بشكل إيجابي، بل لمجرد ما إذا كانت مفيدة للناس أم لا)، وقد وجد الناس الدين نافعاً، فهو إذا حقيقة وفائدته تتجلى بتنظيم المجتمعات وتقديم العون، وإخراج الناس من الفوضى الاجتماعية[1].

وهذه التعريفات وإن كانت تقدم تصوراً عن معنى الدين في الثقافات المختلفة إلاّ أن البحث يرمي إلى أن معنى الدين الذي اتّصف به الخطاب هو الإسلام لاسيما ونحن قد اتخذنا خطاب العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام أنموذجاً لهذا البحث لنظهر من خلاله الأدوات التي أمكنت العقيلة زينب عليها السلام في تغييرها للبينة الفكرية في المجتمعات الإسلامية التي مرت بها وخطبت الناس فيها لاسيما في الكوفة وهي عينة البحث والدراسة.

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص٦٤.

فكان خطابها للجند في كربلاء وإن بدا مختصراً على بعض الجمـل لكنـه أوقع في النفس من ضرب السيوف فضلاً عن تبعات تلك الألفاظ التي نطقتها ابنة علي عليه السلام على مر التاريخ حينما تتجـدد تلـك الحواضـن الفكريـة والنفسية لإنتاج دفعة جديدة من تلك العقول التي أقدمت على ذبح ابن بنـت نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا:

فلابد من التفريق بين الإسلام بثوابته ونصوصه المقدسة وحـدوده البينـة وبين فهم هذه الثوابت والنصوص وإقحامها في أنها دينية لغرض إكسابها صفة الطاعة والانقياد وأقله التأثر بها، ولذا:

لابد من الوقـوف عنـد مرجعيـات الخطـاب الـديني ومناهلـه، وهـذا مـا سنتناوله في المبحث القادم.



المبحث الثاني

مرجعية الخطاب الديني ومناهله

قد يبدو العنوان في بداهته فيكون الجواب لدى القارئ حاضراً في معرفة مرجعية الخطاب بصفته (الديني)، أي لابد أن يستند الخطاب إلى الدين ولابد أن يكون المتلقون متدينين وإن اختلفت لديهم المستويات المعرفية للدين وتطبيقاته في الحياة.

وعليه:

يصبح من البداهة بمكان أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف هم المناهل الأساس لهذا الخطاب الديني، ومن ثم تصبح الحاكمية للنص، والنص فقط.

والنص حسب تلك المعطيات ينقسم إلى ثلاثة مناهل، وهي:

المسألة الأولى: دور القرآن في مرجعية الخطاب الديني

يعتمد الخطاب الديني بالدرجة الأساس على القرآن الكريم في شحذ الخطاب بنصوصه الشريفة بلحاظ إنه كتاب الله تعالى ومرجع التشريع

الإسلامي الأول فضلاً عن حاكميته التي يفرضها الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكتاب الذي نزل به الوحي عليه السلام على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ثم اكتساب هذا الخطاب تلك الحاكمية التي يفرضها الإيمان بالقرآن الكريم وتسيير المجتمع المسلم لهذه الحاكمية التي انتهل منها الخطاب سلطته على المجتمع.

ولكن: ثمة مشكلة كبيرة في اكتساب الخطاب الديني قوة الإصلاح المجتمعي حينما يستل منه الخطاب هذه الخصوصية عند إرجاعه إلى القرآن الكريم لينتهل منه الخطيب أو المتكلم خطابه الديني، وذلك أن القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه والظاهر والباطن ومن ثم كيف سيصل المتكلم إلى مراد الآية ليستل منها حاكمية على المتلقي؟ والقرآن فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ؛ وعليه: فنحن بحاجة إلى أهل القرآن والتأويل ليصح بذلك الأساس الأول في مرجعية الخطاب الديني والذي من خلاله يتحقق الإصلاح.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام:

«يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب».

ويقول:

«يا رب، إن علياً قضى بقضائك، والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة».

ثم قال:

«سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية، آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها، والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»[1].

ولفقدان هذا الاختصاص المعرفي في القرآن في بواطنه وظواهره يبقى الخطاب الديني منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مقيداً في عملية الإصلاح بذلك التخصص القرآني الذي حدده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

إذن:

لم يزل القرآن هو المرجع الأول والمنهل الأساس في بناء مكونات الخطاب الديني، ويبقى الإصلاح والإفساد مرهوناً بتلك المعرفة بكتاب الله تعالى، وهو ما جعل هذا الخطاب يتفاوت في التأثير في المجتمعات التي يلقى فيها فضلاً عن الأفراد.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج١، ص٣٥؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٠، ص١٤٤.

المسألة الثانية: دور السنة النبوية في مرجعية الخطاب الديني

لا تختلف السنة النبوية عن القرآن الكريم في كونها الأساس الثاني لمرجعية الخطاب الديني وثاني منهل معرفي له، إلاّ أن هناك فرقاً بين القرآن والسنة النبوية في كونهما المنهلين اللذين يستلهم منهما الخطاب الديني مادته الخطابية أو بالأعم مادته المعرفية.

وهو أن القرآن قد حفظه الله تعالى من التحريف بينما الحديث الشريف تعرض للدس والتحريف مما حدا بكثير من العلماء إلى تأسيس علم الرجال والجرح والتعديل لغرض النظر في سند الحديث النبوي الشريف، وذلك لكثرة ما تعرض له هذا المنهل المعرفي من الدس والتلفيق والكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا ذاك لما احتاج علماء المسلمين إلى الجرح والتعديل.

وهذا أولاً.

وثانياً: حتى مع وجود الجرح والتعديل وعلم الرجال لم يسلم الحديث الشريف من التعرض للتحريف والتزييف، وذلك لما مرت به الأمة منذ عهد النبوة من التربص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقليب الأمور له حتى باتت هذه الحقيقة ظاهرة لكل مسلم لاسيما وإن الوحي قد نطق بها واضحة جلية لمن كان له قلب يفقه به الأمور.

قال تعالى في بيان خطر المنافقين.

١ ـ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[1].

٢ ـ ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾[2].

وغيرها من الآيات التي تخبر عن حال تلك الزمرة ودورها التخريبي في المجتمع المسلم؛ والسؤال الذي يفرضه البحث: إذا كان هؤلاء المنافقون هذا فعلهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الإسلام فكيف حالهم وفعلهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن زال عنهم الحذر فيما كانوا يبيتون من المكر والخديعة والضرر بالإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾[3].

ولعل الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة والأدب وغيرها لمراجعة تلك الحقبة الزمنية وما دار فيها من أحداث ليغني القارئ والباحث عن إيراد تفاصيل أكثر، ولذا: نكتفي بشاهد عيان على ما حدث وهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ألا وهي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ تصف حال المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول عليها الصلاة والسلام:

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

«فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم دار أنبيائه وأتم عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهدر نيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم وألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير أبلكم، وأوردتم غير قربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل زعمتم خوف الفتنة.

﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1]»[2].

فهذا يدل على الحالة التي أصبحت عليها الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما دعا بكثير من أولئك الرموز إلى التحزب والتكتل فانبرى منهم من تصدى إلى تسخير كل الطاقات من أجل إثبات السلطة وتهيئة السبل لمكوث أصحابها فضلاً عن توظيف الإمكانات لخدمة المصالح والمنافع الشخصية والفئوية والقبلية، مما انعكس على رواية الحديث الشريف فصيغت بصياغات متقنعة وألفاظ ذات دلالات مسخرة لثبوت الملك والسلطنة كما ورد في صحيح مسلم.

(قال حذيفة بن اليمان: قلت يا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(٢) الدرر النجفية للمحقق البحراني: ج٣، ص٣٦٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦، ص٢٥١؛ السقيفة وفدك للجوهري: ص١٤٣.

ـ إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال:

«**نعم**».

قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال:

«**نعم**».

قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال:

«**نعم**».

قلت: كيف؟ قال:

«**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس!**».

قال، قلت: كيف أصنع، يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟! قال:

«**تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع، وأطع**»[1].

والسؤال الذي يفرضه البحث:

١ ـ إذا كان هؤلاء الأئمة لا يهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ولا يستنون بسنته! وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس!!

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن: ج٦، ص٢٠؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج٨، ص١٥٧.

فعلى ماذا يطيعهم المسلم وهذا حالهم؟!! وأين هذا من قوله تعالى الذي يأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المنافقين والكفار وجهادهم، فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١).

٢ ـ لا شك أن هؤلاء الأئمة إما يكونون مع السلطان وإما ضده، فإن كانوا ضده قاتلهم وإن كانوا معه بذل لهم الأموال وهيّأ لهم مصالحهم وحينها ما هي وظيفة المسلم حينما يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كوظيفة دينية وتكليف شرعي، أتراه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويطيع الأمير الذي احتضن هؤلاء الأئمة أم يجاهد أئمة الكفر مهما يعرضه لعقوبة الأمير، كيف سيصنع المسلم؟

٣ ـ هؤلاء الأئمة الذين لا يهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستنون بسنته ما هي علاقتهم بالأمراء ولماذا يقدمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه على الأمراء، ومن ثم كيف يتعامل الأمير مع أولئك الأئمة أتراه يدافع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟

٤ ـ والأمر الخطير كيف يكون حال الأمة الإسلامية إذا وظف الأمير هؤلاء الأئمة الذين لا يهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستنون بسنته لأغراضه الشخصية؟! وكيف سيتحقق الإصلاح أم الإفساد في

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

الخطاب الديني، بل كيف سيوظّف هذا الحديث في خدمة الأمراء والساسة فيكون الخطاب الديني لا دينيّا إلا بما يخدم الأمراء.

إذن:

يدل هذا الحديث وغيره على أن الأساس الثاني لمرجعية الخطاب الديني ومنهله المعرفي قد ملأه أولئك المنافقون وأرباب السياسة والمصالح بالنقائض فأصبح الخلل في الأسس الذي قام عليها الخطاب الديني، مما يستلزم تنقية هذه الأسس تنقية علمية شرعية يكون المرجع فيها الثقلين كتاب الله وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كي يأمن المسلم من الضلال وهو ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم به المسلمين.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

المسألة الثالثة: دور السلف في مرجعية الخطاب الديني

من هم السلف؟

أولاً: السلف لغة

جاءت مفردة السلف في اللغة على النحو الآتي؛ قال ابن فارس: السين

(١) مسند أحمد: ج٣، ص١٤؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢٩، برقم ٣٨٧٦.

واللام والفاء أصل يدل على تقديم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا)[١].

وقال ابن منظور: السلف، أي الجماعة المتقدمون[٢].

وقيل: السلف من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السبق والفصل[٣].

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها

قيل في الفتاوى: السلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى، الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخير في قوله:

«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة)[٤].

وهذا التعريف يرشد القارئ إلى أن هذه المرجعية هي أوسع من

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: مادة سلف.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة سلف.

(٣) المصدر السابق.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ جمع الدويش: ج٢، ص١٦٥.

المرجعيات السابقة أي القرآن والسنة، وذلك لاشتمالها على جميع الناس في فترة زمنية مقدارها ثلاثمائة عام؛ ومن ثم فالخطاب الديني المعاصر هو أصعب بكثير مما كان عليه أهل القرون الثلاثة أنفسهم وذلك أن أهل القرن الأول وبحسب مقاصد الحديث كانوا يرجعون على القرآن والسنة وأهل القرن الثاني أصعب من القرن الأول بنسبة ما وذلك لرجوعهم إلى الناس في القرن الأول فضلاً عن القرآن والسنة ناهيك عن احتفاظ الناس بتلك المفاهيم والقيم التي جاء بها الإسلام ولعدم دخول ثقافات وقيم وافدة مما يعني أن الأزمنة المتعاقبة يصبح فيها الخطاب أكثر عسراً لاسيما وقد شهد الحديث الشريف ظاهرة تفشي الكذب، فضلاً عن الأيمان الكاذبة والشهادة المزورة لأهل القرن الرابع فكيف بعد مرور أربعة عشر قرناً؟!

وعليه:

فثمة أسئلة كثيرة يفرضها هذا المصطلح وتعريفه وما استند إليه علماء أهل الجماعة فيما رواه البخاري وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خير الناس قرني...»[1].

وهذه الأسئلة يفرضها البحث وهي كالآتي:

١ ـ إن الاعتماد على جميع هؤلاء الناس في ثلاثمائة عام، أي لأجيال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات: ج٣، ص١٥١؛ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود: ج١، ص٣٧٨.

متعددة في مرجعية الخطاب الديني والانطلاق منهم في عملية الإصلاح والإفساد يعد من أكبر المخالفات للقرآن والسنة وذلك:

ألف: قد تحدث القرآن عن الناس في القرن الأول لاسيما أولئك الذين شهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوه في مكة والمدينة ومنهم الصالحون والمجاهدون ومنهم من عرفهم القرآن للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالنفاق فكانوا هم:

﴿ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

وإن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم القرآن في سور عدة وآيات كثيرة وأفرد لهم سورتين تتحدثان عن أحوالهم فكانت سورة التوبة أو البراءة هي أول براءة من الله ورسوله منهم، فضلاً عن تخصيص الوحي لسورة سميت باسم المنافقون؛ ومن ثم فهؤلاء كانوا من الناس، ومن أهل القرن الأول فكيف يكونون هؤلاء خير الناس فيما لو تم الإطلاق للفظ الخيرية فكان متلازماً مع لفظ الناس.

باء: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من عانى منهم وقد نص القرآن على مكرهم الذي تزول منه الجبال وفسادهم في المجتمع فقال عزّ وجل:

﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

وعليه: فأي خيرة لهؤلاء؛ بل إن تردي الخطاب الديني وانحرافه عن غايته التي جاء بها الإسلام وهو الإصلاح فكان الإفساد ثمرة هذا الخطاب أينما حل حينما يرتكز على عدم التفريق بين أهل الصلاح والجهاد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين المنافقين منهم.

٢ ـ قد شهدت مصادر المسلمين من السيرة والتاريخ والحديث والتفسير والرجال والتراجم والأدب وغيرها على حوادث عديدة جرت خلال هذه القرون الثلاثة بل إن القارئ للتاريخ الإسلامي ليجد أن أعظم الحوادث التي وقعت في الإسلام كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي النصف الأول من القرن الأول للهجرة فسفكت دماء الصحابة وانتهكت حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة بيت الله الحرام وقتل أهل بدر وحنين وقتل الخلفاء.

فأبو بكر مات مسموماً، وعمر بن الخطاب قتل طعناً وبقرت بطنه، وعثمان بن عفان قتل في داره وأمام نسائه بيد أهل هذا القرن وفيهم صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأما ما لاقاه أهل البيت النبوي من القتل والانتهاك والسلب ما لم يحدث في أمة من الأمم فأول المظلومين من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذا: فهو أول من يجثو للخصومة يوم القيامة كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه البخاري في الصحيح[١].

---

(١) صحيح البخاري، باب غزوة بدر: ج٥، ص٦.

٣ ــ وثمة سؤال آخر: كيف سيكون شكل الخطاب الديني فيما لو كان المرجع فيه والمنهل الذي ينهل منه أحد أولئك السلف الذين اشتركوا في قتل عثمان بن عفان، وكيف يكون الخطاب فيما لو كان المرجع فيه أصحاب معاوية الذين قتلوا عمار بن ياسر؛ وكيف يصنع أصحاب الخطاب الديني فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه قال لعمار بن ياسر عليه الرحمة والرضوان وهو يخبره بما تؤول إليه عاقبة أمره وخاتمة حياته، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية»[١].

فهلا كان أصحاب الخطاب الديني قد نظروا إلى هذا الحديث النبوي حينما كان أهل الفئة الباغية هم مرجعهم في صياغة خطابهم الديني، أترى يتحقق الإصلاح في المجتمع مع وجود البغاء أم أن الإفساد والفساد ثمار الفئة الباغية؟

٤ ــ كيف نصنع بتلك الاختلافات التي وقعت فيما بينهم، أي الصحابة وقد حمل بعضهم السيف في وجه البعض الآخر، وكيف نبني قيم ومفاهيم الخطاب الديني في المجتمع؛ بل كيف سيكون مفهوم التدين حينما نجد التأريخ يتحدث عن تعدي بعضهم للحدود الشرعية كالقتل كما حدث لعثمان بن عفان، وسيد الأنصار سعد بن عبادة[٢] ضمن مسلسل الاغتيالات، وقتل

---

(١) مسند أحمد: ج٢، ص١٦١، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ صحيح مسلم، باب: لا تقوم الساعة: ج٨، ص١٨٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص٢٥٣؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج١، ←

طلحة بن عبيد الله بسهم رماه مروان بن الحكم في معركة الجمل[1]، فضلاً عن الوقوع في الزنا كالمغيرة بن شعبة[2]، فأين هذه الأفعال من مفهوم الخيرية وأي نسبة لها من الدين كي يكونوا أهل الدين مثلاً؟!

وعليه:

فقد توقف بعض حفاظ المسلمين وعلماء العامة والسنة والجماعة في أن أهل القرون الثلاثة هم خير الناس وأن هذا الحديث لا مصداقية له مع واقع القرآن والسنة والتاريخ وهو ما سنعرض له في (ثالثاً).

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنة والجماعة في حصر الخيرية في أهل القرون الثلاثة الأولى

إن المراد من صياغة هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ـ بعد تعارضه مع القرآن والسنة والتاريخ والعقل ـ هو الترويج لأصحاب الرئاسة وشرعنة جلوسها في الحكم سواء كانت هذه الرئاسة منتخبة من مجموعة من الناس كما حدث في سقيفة بني ساعدة، أو من خلال التعيين بالنص كما حدث لعمر بن الخطاب، أو سواء بالشورى كما حدث لعثمان، أو سواء بالمال

ص١٠٦؛ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج٣، ص٥٩٧.

(١) مستدرك الحاكم للنيسابوري: ج٣، ص٣٧٠؛ المعجم الكبير للطبراني: ج١، ص١١٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٢٥، ص١١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٢، ص٢٣٦؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٦، ص٣٦٥؛ فتح الباري لابن حجر: ج٥، ص١٨٧

والسيف كما حدث لمعاوية وبني أمية الذين حولوا الأمر ملكاً عضوضاً يتلاقفونه فيما بينهم امتثالا لوصية جدهم سيد الأحزاب أبي سفيان بن حرب وقد قال لهم في خلافة عثمان بن عفان الأموي: تلقفوها يا بني أمية، تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار)[١].

في حين لم يشهد الإسلام بيعة حقيقية لم يسجل التاريخ فيها اعتراضاً لأحد من المسلمين سوى بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام فقد هبوا جميعاً لبيعته والأمر لا حاجة إلى تدليل لمن كان له أدنى اطلاع على التاريخ الإسلامي.

ومن هنا:

فإن الخيرية التي نص عليها الحديث الذي اعتمده السلفيون في كونه أحد مراجع الخطاب الديني وأوسع مناهله هو في الحقيقة لا يصمد أمام القرآن والسنة والتاريخ والعقل ومن ثم فقد اعترض عليه بعض علماء أهل السنة والجماعة، فكانت اعتراضاتهم كالآتي:

١ ـ قال ابن حجر العسقلاني

(وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلة بخلاف من

---

(١) الفايق في غريب الحديث للزمخشري: ج٢، ص٨٨؛ السقيفة وفدك للجوهري: ص٨٧؛ تاريخ الطبري: ج٨، ص١٨٥؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص٣٤٣؛ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء: ج٢، ص٥٧.

بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر وفيه بيان من ترد شهادتهم وهم من اتصف بالصفات المذكورة وإلى ذلك الإشارة بقوله ثم يفشو الكذب)[١].

٢ ـ قال ابن عبد البر

(والذي يصح عندي ـ والله أعلم ـ في قوله «خير الناس قرني» أنه خرج على العموم، ومعناه الخصوص بالدلائل الواضحة في أن قرنه ـ والله أعلم ـ فيه الكفار والفجار كما كان فيه الأخيار والأشرار، وكان فيه المنافقون والفساق والزناة والسراق، كما كان فيه الصديقون والشهداء والفضلاء والعلماء.

فالمعنى على هذا كله عندنا أن قوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ «خير الناس قرني» أي خير الناس في قرني كما قال تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾[٢].

أي في أشهر معلومات، فيكون خير الناس في قرنه أهل بدر والحديبية، ومن شهد لهم بالجنة خير الناس إن شاء الله، ويعضد هذا التأويل قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» عد من سبق له من الله الحسنى وأصحابه وبالله التوفيق)[٣].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٧، ص٦؛ فيض القدير للمناوي: ج٣، ص٦٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر: ج١، ص١٩٠؛ التمهيد لابن عبد البر: ج٢، ص٢٥٠.

٣ ـ قال المناوي والكلاباذي وغيرهما

(وأما خبر «خير الناس قرني» فخاص بقوم منهم والمراد في قرني كالعشرة وأضاربهم وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أو أواخر هذه الأمة كالذين ينصرون المسيح، ويقاتلون الدجال فهم أنصار النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم وإخوانه)[١].

٤ ـ قال السرخسي

(ففي هذا بيان أن أهل كل عصر يقومون مقامهم في صفة الخيرية إذا كانوا على مثل اعتقادهم والمعاني التي بيناها لإثبات هذا الحكم بها من صفة الوساطة والشهادة والأمر بالمعروف لا يختص بزمان ولا بقوم)[٢].

٥ ـ قال ابن تيمية

(ومما ينبغي أن يعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعاً وموالاتهم فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من المعسكر إلا مجتهداً متأولاً كالعلماء، بل فيهم المذنب، والمسيء، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة)[٣].

---

(١) فيض القدير للمناوي: ج٢، ص٢٣٣.

(٢) أصول السرخسي: ج١، ص٣١٣.

(٣) مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج٤، ص٤٣٤.

وأقول: ليس كل سيئة تغفرها الحسنات كإدخال الأذى على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾(١).

أو قتل النفس المحترمة كعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

وعليه:

فهذه الأقوال انطلقت في رؤيتها للحديث من القرآن والسنة وواقع الحال الذي كان عليه أهل هذه القرون الثلاثة، ومن ثم فإن مرتكزات الخطاب الديني منذ ظهوره في المجتمع الإسلامي وإلى يومنا هذا إنما يتجدد هدفه وغايته ونتائجه في الإصلاح والإفساد من خلال هذه المرجعيات والمناهل لاسيما المرجع الأخير، أي السلف إذ عدم وجود آليات محددة لبناء هذا الخطاب وفهم مفرداته المستمدّة من مرجعياته ومناهله والتساوي في التقييم لشخصيات القرون الثلاثة صاحب الخطاب الديني من البدريين كما يأخذ عن سيد الأحزاب وأشياعه إن ذلك لكفيل بتردي هذا الخطاب وتردي نتائجه في المجتمع.

ولو أردنا أن نتتبع هذه النتائج والفتاوى التي صدرت عن أهل الخطاب الديني لخرج البحث عن عنوانه ومنهجه ولكن يكفي أن نورد ما بينه نبي الأمة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

وسيدها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما تؤول إليه الأمة الإسلامية بفعل هذا الخطاب الديني؛ فمنها:

١ ـ روى أحمد في المسند، (عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال:

«إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة».

قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال:

«الجماعة الجماعة»)[1].

ونقول:

وإن كان الحديث الشريف يكشف عن حقيقة ما تؤول إليه أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من التفرق والهلاك بفعل الخطاب الديني لهذه الفرق إلاّ أن الحديث لم يسلم من أدوات الخطاب (الديني) كما هو واضح في ذيل الحديث الذي يصرح بالوضع والتلفيق، وذلك:

ألف: إن مصطلح الجماعة مصطلح غريب على عصر النبوة بعكس مصطلح (الأمة) أو (الفرقة) ولذا لم يرد في أدبيات الحديث النبوي هذا اللفظ مما يكشف عن أنه دخيل على الحديث.

---

(١) مسند أحمد: ج٣، ص١٤٦.

باء: إن مصطلح الجماعة ظهر في الوسط الإسلامي بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام حينما بايع الناس الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبعد تلك البيعة وما شهدته الأمة من اقتتال بين شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعة معاوية، وما خلفه من تداعيات عقائدية وسياسية ونفسية أثرت بشكل أساس في لجوء الإمام الحسن عليه السلام إلى معاهدة الهدنة مع معاوية.

فظهر مصطلح الجماعة آنذاك وسمي هذا العام عام الجماعة[1].

جيم: لو سلّمنا جدلنا أن الفرقة الناجية هي الجماعة، أي أهل السنة والجماعة، بمعنى أدق أهل القرون الثلاثة ومن تبعهم بإحسان كالمالكية والشافعية والحنابلة والحنفية، فأين أصبحت بقية هذه الفرق الإحدى والسبعون، أَفَهُمْ من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم أنهم من أهل ملة أخرى وذلك أن أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم من المسلمين والأمر لا يحتاج إلى دليل.

والسؤال المطروح: كيف يصبح السواد الأعظم فرقة واحدة، ومن بقي من المسلمين وهم بذاك قلة مقسمون إلى إحدى وسبعين فرقة موازية من حيث الدلالة اللفظية للحديث مع بقية الفرق من حيث العقيدة ولا أقل الإتباع؟!!

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم المصري: ج٦، ص٤٦٠؛ عمدة القاري للعيني: ج١٣، ص٢٨٢؛ تحفة الأحوذي للمباركفوري: ج٩، ص١٩٨.

٢ ـ أخرج محمد بن إسماعيل البخاري في حجة الوداع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بين أظهرنا، ولا ندري ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره، وقال:

«ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمين كأن عينيه عنبة طافية.

إلاّ أنّ الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا؛ ألا هل بلغت؟».

قالوا: نعم، قال:

«اللهم اشهد ثلاثاً، ويلكم أو ويحكم أنظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!!!»)[1].

والحديث الشريف أخرجه حفاظ المسلمين في مصادر عدة ومن طرق مختلفة لأهميته وبيانه لأمر غيبي لما تؤول إليه الأمة وما يصيبها من ابتلاءات كثيرة.

والحديث يطرح مجموعة من الأسئلة.

---

(١) صحيح البخاري، باب حجة الوداع: ج٥، ص١٢٦؛ واللفظ أخرجه أحمد بن حنبل مختصراً في موارد عدة من مسنده.

١ ـ لمن كان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أليس إلى أصحابه وقد رجعوا من حجة الوداع أو في أثناء أداء مناسكها كما روي أنه تكلم بذلك في يوم النحر؟!

٢ ـ إذا كان تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وإنذارهم من الانقلاب على أعقابهم فيرجعون كفاراً يقتل بعضهم بعضاً ــ وقد حصل ذلك، أي قتل بعضهم بعضاً ـ فأي خيرية كانت لأهل هذا القرن وأي صلاح استحقوا فكانوا كما يسميهم اليوم كثير من المسلمين بـ(السلف الصالح)؟

٣ ـ كيف سيكون مضمون الخطاب الديني ومحتواه فيما لو اتبع الخطيب أو المتكلم هذا القاتل دون المقتول كما لو اختار عقيدة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي غادية الجهني[1].

وأوردها خطابه الديني دون عقيدة عمار بن ياسر وهو أشهر من أن يعرف لجلالة قدره وعظيم منزلته في الإسلام، بل كيف سيكون أثر هذا الخطاب في الإصلاح والإفساد، وهل للإصلاح موضع في هذا الخطاب الذي يستمد مضمونه ومفاهيمه من أبي غادية الجهني وهو قاتل عمار بن ياسر؟

٤ ـ لا شك أن عقيدة أبي غادية الجهني كانت ترتكز على حب عثمان ابن عفان، وتتمذهب بمذهب أهل الشام كما نص على ذلك أبو داود

---

(١) نص على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحمد في المسند: ج٤، ص٧٦؛ البخاري في تاريخه الكبير: ج٨، ص٤٢٠؛ ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ج٧، ص٢٥٨، برقم (١٠٣٧١).

السجستاني صاحب السنن[1].

وأن عقيدة عمار بن ياسر كانت ترتكز على حب علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، ومن ثم فمرجعيات كلا الخطابين منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا متضادة ومتباعدة وكيف لا وقد وقع السيف بين العقيدتين فكان الحال الذي أصبحت الأمة عليه مصداقاً لما أخبر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فأي من السلف يتبع المسلم؛ ولأي الخطابين يعقل ويؤمن؟!

إنها أسئلة كثيرة يفرضها البحث لاسيما ونحن اليوم نشهد نسخاً لما مرّ من هذه العقائد، بل قد اشترط السلفيون على من أراد أن يتصف بهم أن يكون على تلك العقيدة ولأنهم لم يفرقوا بين القاتل والمقتول وبين المؤمن والمنافق فقد ظل القارئ لا يهتدي الوجهة التي تأخذ بيده إلى الأمان والخلاص من العذاب في الآخرة وذلك أن القاتل والمقتول كليهما (رضي الله عنه)؟!! فأين الثواب وأين العقاب، بل على أي شيء، ولأي حكمة وعلة بعث الله الأنبياء والمرسلين والقاتل والمقتول كلاهما رضي الله عنهما، وهو ما ملئت به كتب الحديث والرجال؟!

وعليه: نحتاج إلى معرفة الآليات التي اتخذها المتكلمون في فهم النص وبناء الخطاب الديني، وهو ما نتناوله في المبحث القادم.

---

(١) سؤالات الأجري لأبي داود السجستاني: ج١، ص١٥١؛ تهذيب الكمال للمزي: ج٣٣، ص١٤٥.



المبحث الثالث

آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني

حينما ينظر الباحث والقارئ إلى تعدد العلوم الإسلامية أو العلوم الشرعية ويرى خوض العلماء فيها وتصنيفهم كتباً عنها، فإنه لا شك سينبهر بهذا النتاج الفكري لاسيما تلك المصنفات التي اهتمت باللغة العربية والقرآن والحديث والرجال والسيرة؛ فضلاً عن خوض غمار الفلسفة والكلام والعقائد؛ وأما الفقه والأصول فلهما الحظ الأوفر من تلك العلوم الإسلامية والشرعية.

والمهم في هذا التنوع العلمي والمعرفي: وضع قواعد وآليات مختصة بهذا العلم أو ذاك، ومن ثم تجد العالم الفقيه له أدواته الخاصة التي يستند إليها في فهم النص الديني وكذا المفسر أو الرجالي حتى تكاد تجزم بأن هذه العلوم منعت على العامة لصعوبة غوص بحورها واستخراج مكنوناتها.

ولكن:

حينما تأتي إلى فهم كثير منهم لهذه النصوص التي كانت المادة الأساس في بناء الخطاب الديني منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا وتقابلها بما قدمه هؤلاء المصنفون الذين حازوا الفضل والشرف لحملها نجدهم ينسلخون

عن جلدهم وفكرهم ومعرفتهم فيأخذون ما يناسب عقيدهم أولاً ومصالحهم ثانياً، وكأنك أمام شخصية جديدة لا علاقة لها بما صنفت وكتبت في العلوم الإسلامية.

فتبقى حائراً أمام بعض التساؤلات، والفرضيات، وهي:

أولاً: كتمان الحقائق

أتراهم يكتمون ما أنزل الله وذلك أن الله عز وجل لا يريد ظلماً للعباد، وأنه عادل لا يعذب بريئاً بذنب غيره ولا يأخذه بجريرة كافر أو ظالم، وقد قال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفة

أم إنهم علموا شيئاً وغابت عنهم أشياءُ كما هو حال (الصحابي) أبي غادية الجهني حينما تنازع مع رجل من أهل الشام كان يقاتل مع معاوية في صفين على حمل رأس الصحابي الجليل عمار بن ياسر إلى الصحابي معاوية بن أبي سفيان لغرض الحصول على الجائزة النقدية، كما يروي لنا كلثوم بن جبر قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(سمعت أبا غادية الجهني يقول: حملت على عمار بن ياسر يوم صفين فدفعته ـ فطعنته ـ فألقيته عن فرسه وسبقني إليه رجل من أهل الشام فاحتز رأسه فاختصمنا إلى معاوية في الرأس ووضعناه بين يديه كلانا يدعي قتله وكلانا يطلب الجائزة على رأسه، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص.

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لعمار:

«تقتلك الفئة الباغية[1]، بشر قاتل عمار بالنار».

فتركته من يدي، فقلت: لم أقتله، وتركه صاحبي من يده وقال: لم أقتله؛ فلما رأى ذلك معاوية أقبل على عبد الله بن عمرو، فقال: ما يدعوك إلى هذا؟

قال: إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال قولاً فأحببت أن أقوله)[2].

والحادثة تكشف عن جملة من الأمور:

١ ـ إما أن (الصحابي) أبي غادية الجهني لم يكن قد سمع حديث رسول

---

(١) صحيح مسلم، باب لا تقوم الساعة: ج٨، ص١٨٦؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٣٣٣؛ فضائل الصحابة للنسائي: ص٥١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٣، ص٤٧٤؛ بغية الطالب في تاريخ حلب لابن العديم: ج١٠، ص٤٤٩٧؛ الجوهرة للبري: ص١٠١؛ كنز العمال للهندي: ص٥٣٧.

الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمار وإن قاتله في النار فعلم شيئاً وغابت عنه أشياء.

٢ ــ وإما أنه علم بذلك ولكنه أراد أن يبرئ نفسه من الجريمة التي ارتكبها.

٣ ــ إن كثيراً من الصحابة كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص قد كتموا ما أنزل الله سبحانه وظلموا المسلمين في قتالهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يقاتلون مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

٤ ــ أو أن المال والجوائز التي كان يبذلها معاوية قد غيرت عقائد الناس.

وعليه:

يبقى التضليل وكتمان ما أنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسعي وراء السلطة وبذل الأموال هي العوامل الأساسية في فهم النص وبناء الخطاب الديني.

وإن كثيراً من الخلف هم أبناء أولئك السلف وأنهم ورثوا ما عليه معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو غادية الجهني ليقابلوا بهذا الإرث الذين ورثوا عقيدة عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن ثم فإن آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني لن تخرج عن تلك الثوابت العقدية والنشئوية التي تغلغلت في قلوب السلف ونشأ عليها الخلف.

ثالثاً: ذريعة الاجتهاد الخاطئ وصريح مخالفته للقرآن والسنة

يكاد يجزم الباحث أو القارئ للمصنفات الإسلامية التي أخذت على عاتقها سيرة السلف وما وقع بين الصحابة خلال القرن الأول وما تبعهم عليه التابعيون في القرن الثاني والتزم به السائرون لأولئك في القرن الثالث إلا ووجد قاعدة ثابتة في رسم العقيدة وأداة فاعلة في فهم النص وبناء الخطاب الديني ألا وهي: أنهم اجتهدوا فإن أصابوا فللمصيب أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد[1].

وقد حرص السلفيون على ترسيخ ذلك في أذهان الناس لما له من تأثير كبير في حجية المعرفة وتسييس الناس لعقيدتهم فانبرى لها متكلموهم، وفي ذلك تقول اللجنة الدائمة للإفتاء: (مذهب أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم والترضي عنهم جميعاً، واعتقاد أنهم كانوا مجتهدين فيما عملوا فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر وخطؤهُ مغفور)[2].

في حين أن هذه القاعدة خاصة بمن بلغ درجة الاجتهاد في القضاء والفقه وليس لعامة الناس سواء كانوا من أهل القرون الثلاثة أو ممن تلاهم وإلا لأصبح جميع المسلمين قضاة وفقهاء بحيث يعمل كلٌّ منهم برأيه ويشرع

---

(١) أنظر في هذه القاعدة على سبيل الاستشهاد وليس الحصر: المحصول لفخر الدين الرازي: ج٤، ص٣٤٣.

(٢) اللجنة الدائمة للإفتاء لأحمد بن عبد الرزاق الدويش: ج٣، ص٢٨٧.

في دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يشاء بناءً على قاعدة حصول الأجر في كلتا الحالتين في الصواب والخطأ.

فضلاً عن أن حمل ما شجر بين الصحابة على الاعتقاد بأنهم كانوا مجتهدين يثير مجموعة من الأسئلة:

١ ـ كيف يمكن الاعتقاد بأمرٍ فيه مخالفة صريحة للقرآن والسنة المحمدية فمنهم من كان منافقاً وقد تبرأ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم منهم.

وعليه: كيف يصبح عمل المنافق في حربه لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاداً والله يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجهادهم فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

٢ ـ إن الله تعالى يقول في محكم التنزيل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[2].

فكيف يكون من قتل علي بن أبي طالب عليه السلام أو من قتل ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتل بضعته فاطمة صلوات الله عليها وقتل أصحابه كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري عليهم الرحمة والرضوان وإن القاتل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

مغفور له؟

٣ ـ أيكون قاتل عمر بن الخطاب وقاتل عثمان بن عفان مأجوراً ومغفوراً له لأنه اجتهد في القتل.

أم آن الأمر خاص بقتلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبهم؟!

٤ ـ كيف بالمسلم أن يأخذ دينه في الفروع وعقيدته في الأصول من الصحابة وقد كفر بعضهم بعضاً فقتلوا بالتكفير، بمعنى أدق ممن يأخذ المسلم دينه وقد أمر بالرجوع إلى الصحابة وقد كفر بعضهم بعضاً كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري؟

٥ ـ ثم إن السؤال المهم الذي ينبغي الوقوف عنده طويلاً.

على ماذا اختلف الصحابة وتشاجروا وتقاتلوا؟ أعلى الدنيا أم على الدين؟

فإن كان تشاجرهم على الدنيا فهذا أولى بالإعراض عنهم وإن اختلفوا وتقاتلوا على الدين فمعنى ذلك أن منهم من كان على الحق ومنهم من كان على الباطل وهو ما دل عليه الحديث النبوي الصحيح الذي أخرجه غير واحدٍ من أئمة الحديث، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق: ج٧، ص١٦٩.

وفي لفظ آخر رواه أبو هريرة عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال:

«بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين قال: إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري.

ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا يخلص منهم مثل همل النعم»[1].

وهو مثال يضرب القلة، فأي اجتهاد هذا وأي أجر، وأي ذنب مغفور للمذنب منهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بأن كثيراً منهم إلى النار؟!

فضلاً عن ذلك:

فإن أئمة المذاهب الإسلامية قد أسسوا لمقتضى الاجتهاد ودوافعه وشروطه وإن الصحابة أو غيرهم من المسلمين لا يحق لهم الاجتهاد فيما يقابل النص ومن ثم فإن الاعتقاد بأنهم اجتهدوا فهو بدعة ومحدثة أريد منها إضلال المسلمين وبقاء نفوذ أصحابها والقائلين بها واستغلال عفوية الناس وقلة اطلاعهم، وإلا فإن أصل الحديث مقيد بالحاكم الذي أوكل إليه القضاء وليس عامة الصحابة أو التابعين.

ومما يدل عليه:

---

(١) المصدر نفسه.

مجموعة من أقوال أئمة المذاهب الإسلامية من أهل السنة والجماعة وهي كالآتي:

١ ـ قال إمام المذهب الشافعي، بعد أن أورد الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه أئمة الحديث عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»[(١)].

قال الشافعي: (ومعنى الاجتهاد من الحاكم إنما يكون بعد أن لا يكون فيما يريد من القضاء فيه كتاب ولا سنة ولا أمر مجتمع عليه؛ فأما وشيء من ذلك موجود فلا).

فإن قيل: فمن أين قلت هذا وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهره الاجتهاد؟ قيل له: أقرب ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: (كيف تقضي؟)، قال: بكتاب الله عز وجل، قال: (فإن لم يكن؟)، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (فإن لم يكن؟)، قال: أجتهد رأيي؛ قال: (الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الاجتهاد بعد أن لا يكون

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام: ج٨، ص١٥٧؛ مسند أحمد: ج٤، ص١٩٨، من حديث عبد الرحمن بن حسنة.

كتاب الله ولا سنة رسوله؛ ولقول الله عز وجل:

((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ))، وما لم أعلم فيه مخالفاً من أهل العلم.

ثم ذلك موجود في قوله: (إذا اجتهد) لأن الاجتهاد ليس بعين قائمة وإنما هو شيء يحدثه من قبل نفسه، فإذا كان هذا، فكتاب الله والسنة والإجماع أولى من رأي نفسه، ومن قال الاجتهاد أولى خالف الكتاب والسنة برأيه)[1].

٢ ـ وقد أفرد له ابن حجر العسقلاني باباً في فتح الباري، فقال تعقيباً ومبيناً للحديث:

(يشير إلى أنه لا يلزم في رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك، بل إذا بذل وسعه أجر فإن أصاب ضوعف أجره لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم)[2].

٣ ـ جمع ابن عبد البر أقوال أئمة المذاهب في كتابه جامع بيان العلم فكان مما أورده بعد أن ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قال الشافعي ومن قال بقوله: يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ، لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد، وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه.

قال المزني: فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطئ أحدث في

---

(١) كتاب الأم للشافعي: ج٦، ص٢١٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج١٣، ص٢٦٧.

الدين! ما لم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لا في خطئه.

ثم ينتقل ابن عبد البر إلى المذهب المالكي فيروي عن ابن وهب، قال: سمعت مالكا يقول: من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير، ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطئ وفي هذا دليل المخطئ عنده وإن اجتهد فليس بمرضي الحال.

وذكر ابن عبد البر قول إسماعيل القاضي في المبسوط، فقال: وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة، ولا ماضي عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفاً للقرآن والسنة)[1].

وعلى هذا يكون سنام الاجتهاد وقوامه معرفة القرآن والسنة وعدم مخالفتهما، أما إذا كانت هناك مخالفات صريحة وعلنية للقرآن الكريم والسنة فلتصق هذه الانتهاكات للحرمات بالاجتهاد فهذا بدعة وكل بدعة ضلال وصاحبها في النار.

وعليه:

فإن هذه الآليات في فهم النص القرآني والنبوي تحت ذريعة الاجتهاد فإن أخطأ الصحابي فله أجر وإن أصاب فله أجران أثرت بشكل كبير في عقيدة المسلم ورسمت صورة سيئة عن كثير من الشخصيات الصالحة التي أفنت سنين عمرها في نصرة القرآن والسنة المحمدية فأبعد الصحابة النجباء المخلصون وقرب أولئك المعادون لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان النفاق سمتهم وتحقيق المصالح والمغانم هدفهم مما غير أبنية الخطاب

(١) جامع البيان وفضله لابن عبد البر: ج٢، ص٧٢ ـ ٧٣.

الديني منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا، فقدس من أراد له أصحاب المنابر والفتاوى أن يتقدس وكفّر من أراد أن يكفّر، وغض الطرف عن كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم ينادون على المنابر سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته!!

وقد قتلوا السنة كما قتلها أسلافهم؛ حينما قتلوا الصحابة النجباء كعمار ابن ياسر وحجر بن عدي، ومحمد بن أبي بكر؛ وأبي ذر الغفاري؛ وغيرهم وقتلوا السنة حينما أعلنوها حرباً ضروساً على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبين أضلاع مهشمة وجنين مخضّبٍ بدمائه، ومحراب غسل بدماء صاحبه، ورأس على الرمح يدار به في بلاد المسلمين وفيهم الصحابة والتابعون والرأس يتلو القرآن؛ فهذا كله خطأ مغفور؛ بل مأجور صاحبه؟!!

﴿ ..وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1].

﴿ ...وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2].

﴿ ...وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3].

أفي حكم الله تعالى أن يقتل هؤلاء الطاهرون وتسفك دماء أولئك النجباء الصالحين، مالكم كيف تحكمون؟! وأي خطاب (ديني) هذا الذي تزعمون؟!

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.



المبحث الرابع

تقديس النص أم نص القداسة
ودوران الخطاب الديني بينهما

إن النتائج التي خلص إليها البحث من خلال العرض السابق تقودنا إلى المواضيع التي سنتناولها خلال هذا المبحث، وذلك أن العنصر الأساس في بناء الخطاب الديني هو النص القرآني والنبوي مما أكسبه - أي الخطاب الديني - صفة القداسة، فيلزم بالمسلم الانقياد إليه والتسليم له.

المسألة الأولى: القداسة الذاتية والإلتصاقية

إلا أنّ المشكلة الحقيقية هي حينما ينتقل التقديس إلى القائل بالنص دون أن يكون له قدسية فيكون النص الذي ينطق به من لا أصل قرآنياً أو نبوياً لتقديسه مقدساً.

بمعنى:

يكون الخطاب مكتسباً لصفة القداسة من موردين:

١ ـ أن يكون الخطاب محتوياً على نصوص مقدسة، وهذا يلزم أن يكون هذا النص صادراً من القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ممن

أكسبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن قدسية فيكون كلامه ملازماً للقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المعنى محصور في العترة النبوية لتضافر النصوص القرآنية والنبوية فيهم فكانوا عدل القرآن وثقله في الأمة.

٢ ـ أن يكون الخطاب صادراً عن أشخاص كانت قداستهم التصاقية وليست ذاتية؛ وذلك لأنهم غير منصوص عليهم بالتقديس بل لاصقوا الدين فأصبح خطابهم دينياً ومن ثم مقدساً ويلزم الأخذ به كالمجتهد الذي قد يصيب أو يخطئ، وكالصحابي الذي يكون مخلصاً ومتقياً أو منافقاً؛ وذلك أن الملاك والضابطة التي أسسها السلف في اكتساب الصحابي أو التابعي أو المجتهد أو القاضي ليس التقوى وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما لأنه ملتصق بالمقدس، وهو ما دأب عليه السلف في إطلاق صفة الصحبة على كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سمع منه؛ واكساب الصحبة رتبة من القداسة لا يعلوها شيء، وإن كان هذا الصحابي قاتلاً كأبي غادية الجهني، أو زانياً كالمغيرة بن شعبة[١] أو مستمعاً للغناء[٢]؛ وفي ذلك يقول القرطبي وغيره:

(ذهب معظم العلماء وإن من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه ولو مرة في عمره أفضل ممن يأتي بعده، وإن فضيلة الصحبة لا يعدلها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٢، ص٢٣٦؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٦، ص٣٦٥؛ فتح الباري لابن حجر، باب: شهادة القاذف والسارق: ج٥، ص١٨٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: قصة الحبش: ج٢، ص٢٩، وكتاب العيدين، باب: سنة العيدين لأهل الإسلام: ج٢، ص٦٠٧.

عمل)[1].

إنّ هذا التقديس الالتصاقي برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي روّج له أصحاب الخطاب الديني لو بحثنا عنه في القرآن والسنة لم نجد له أثراً؛ وذلك أن الأساس الذي يلزم المسلم بتقديس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإجلاله وإكرامه جاء في القرآن من خلال تقديس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للحكم الإلهي فأمر الله ونهيه هما أقدس من الرسل والأنبياء عليهم السلام عند الله تعالى وما تقديسهم إلا لأنهم المأمون على وحي الله وشرائعه ودينه؛ ولقد بيّن القرآن الكريم في جملة من الآيات المباركة منزلة الحكم الشرعي عند الله تعالى، فقال سبحانه:

١ ـ ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[2].

٢ ـ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3].

وهذا التشديد الإلهي الذي أظهره القرآن إنما لبيان منزلة الحكم الشرعي عند الله تعالى وتقديسه وإن ارتفاع الإنسان يكون بذلك الالتزام والتسليم لدين الله تعالى ومنه اكتسبت الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون منازلهم وفي ذلك قال سبحانه وتعالى:

---

(١) تفسير القرطبي: ج٤، ص١٧١؛ فيض القدير للمناوي: ج١، ص٢٧١.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ ـ ٤٧.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

ولأنه قول رسول كريم، فقد جعل الله تعالى طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاعته ومعصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصيته فقال عز وجل:

١ـ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[٢].

٢ـ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣].

٣ـ ﴿ ...وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾[٤].

ولذلك:

إن مجرد النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكسب الناظر صفة الصحبة، وإن هذه الصفة (لا يعدلها عمل)! وإن الصحابي (مغفور خطؤه)، بل وله أجر على هذا الخطأ لأنه اجتهد وإن كان هذا الاجتهاد نتيجة التعدي لحدود الله تعالى كالقتل العمدي، لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته؛ أو لممارسة الزنى وشرب المسكر وغيرها من الكبائر التي

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

تمارس على مرأى ومسمع بين أهل زمانه صلى الله عليه وآله وسلم؛ إن كل ذلك الذي انطوى تحت صفة الصحبة يعدّ تعدياً وانتهاكاً لحدود الله تعالى.

وقد قال سبحانه في محكم التنزيل:

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[1].

وعليه:

فهذه المقولة في اجتهاد الصحابة وإن أخطأ أحدهم مغفور، بل ومأجور عليه وإن كان هذا الخطأ فيما شجر بينهم في القتل وغيره فهو مخالف لصريح القرآن بل إن التعدي للحدود ا لإلهية مأواه جهنم خالداً فيها وله عذاب مهين.

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلاّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[2].

وعليه:

تلك الهالة من القداسة التي خلقها الذين أسسوا الظلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته وأصحابه هم أصحاب الكراسي والرئاسة، سواء كانت في الخلافة أو في إمامة المسجد أو في دار الفتوى وقد كرس لها أصحاب

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

هذه الرئاسة كل ما تحتاج إليه هذا الهالة من القداسة، وذلك لإيمانهم أنهم أحد أفرادها ومن ثم فالمساس بها هو مساس بهم وإن تعظيمها هو تعظيم لهم.

مما انعكس سلباً على تفكير المسلم ومستواه المعرفي فبات وكأنه إنسان قد قدم من كوكب آخر أو أنه يعيش في عالمه الخاص الذي يكافح فيه بين مقتضيات الفطرة والعقل وبين هذا الموروث الذي كبله فلم يعد يعرف من الإسلام سوى تلك الخطابات التي إن تجددت فهي تدور بين تكفير المسلمين أو تقصير الثياب أو إطلاق اللحى أو اجتناب كل ما فيه تاء التأنيث.

أما كيف عاش البدريون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف لزموا سنته صلى الله عليه وآله وسلم أو كيف دافعوا عن الإسلام تحت رايته فعرفوا القرآن وعترة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وساروا بهديهم وميزوا بين الحق والباطل، فأولئك مبعدون ولا نصيب لهم في بيان عقائدهم التي كانوا يقاتلون بها تحت راية علي بن أبي طالب عليه السلام ويستشهدون في ساحات الوغى وهم يذبون عن الإسلام أهل الفئة الباغية، فهذا وغيره لا تجد له في الخطاب (الديني) نصيباً؛ لأنه ليس من دينهم في شيء.

من هنا:

إن الخطاب الديني حينما يرتكز على تلك المبتنيات والآليات فهو لا يقدم سوى مزيدٍ من التردي والإفساد وأقله التردد والحيرة في التشخيص بين الحق والباطل، ولعل خير شاهدٍ على هذا التردي ما قام به الشوكاني في تأويله

للحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أجر المجتهد في الصواب والخطأ، فيقول:

(ليس لأحد من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: الحق ما قاله فلان دون فلان، أو فلان أولى بالحق من فلان؛ بل الواجب عليه ـ إن كان ممن له فهم وعلم وتمييز ـ أن يرد ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو على الحق وهو الأولى بالحق.

ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطئ، بل هو معذور!!!، بل مأجور!! كما ثبت في الحديث الصحيح:

(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر) فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله.

ولكن:

لا يجوز لغيره أن يتبعه في خطأه، ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كأجره، بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة.

وإذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم إلى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق ووافقه، وإن كان واحدا، والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق، بل أخطأه، وإن كان عددا كثيرا، فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم ـ وإن كان مقصرا ــ أن

يقول: إن الحق بيد من يقتدي به من العلماء، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره.

فإن ذلك جهل عظيم، وتعصب ذميم، وخروج من دائرة الإنصاف بالمرة، لأن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق)[1].

ويدل قول الشوكاني على حجم التردد والحيرة في قول الحق وإنصاف القارئ وذلك لالتصاق صفة القداسة بالصحابة التي منعته من البيان الصريح فأوكل الأمر بعنق المسلم، وكيف يستطيع المسلم أن يستخرج الحق من الكتاب والسنة وكيف سيأخذ دينه والصلاة والصوم وغيرها من الفروع والعقائد وقد اختلف فيها الصحابة والمجتهدون، أيّ ضياع للمسلم أعظم من هذا الضياع؟!

المسألة الثانية: القداسة بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين

لما رأى الحكام الذين جلسوا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن بقاءهم في السلطة مرتكز على تقديس الناس لدينهم فقد جهدوا في إلصاق صفة القداسة بهم فاتخذت مسمّيات وصفات تعزز في أذهان الناس هذه القداسة، فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذاك خليفة المسلمين، وهذا والي الخليفة، وهذا قاضي الخليفة، وهذا إمام المسلمين، وغيرها من الصفات التي مفهومها ودلالتها ترتكز على القداسة الملتصقة

(١) شرح الصدور للشوكاني: ص٣.

بالدين؛ والعلة في ذلك أن بعض الصحابة جلسوا على كرسي الحكم وبيدهم كانت السلطة التشريعية والسياسية ومن بعدهم جلس التابعيون؛ ومن ثم فهم بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين، ولأن الدنيا والآخرة لا يجتمعان فقد لزم الأمر تصنيع القداسة بهذه الصفات، وإصباغها بهذه الصبغة، ومن ثم أكسبتهم هذه الصفات حصانات متعددة، فكانت منها:

١ ـ إن خطأ أحدهم مغفور[١]، بل ومأجور عليه فاعله[٢].

٢ ـ تحريم الدخول فيما شجر بينهم وما وقع منهم من الأخطاء والبغي والحديث عنه[٣].

٣ ـ إن طاعتهم مبرئة للذمة ولذا: يجب العض عليهم بالنواجذ[٤].

٤ ـ إن الاقتداء بأي أحد منهم يجر صاحبه إلى الهداية، فهم كالنجوم، وإن كان هذا الواحد مخالفاً للإجماع[٥].

٥ ـ إن الله رضي عنهم جميعاً كما رضي عن التابعين لهم[٦].

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج٣، ص١٥٤.

(٢) شرح الصدور للشوكاني: ص٣.

(٣) مجموعة الفتاوى لابن تيمية: ج٤، ص٤٣٤.

(٤) مسند أحمد: ج٤، ص١٢٦؛ سنن الترمذي: ج٤، ص١٥٠.

(٥) أصول السرخسي: ج١، ص٣١٦.

(٦) وهذه الحصانة استمدت من قوله تعالى ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصاري والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار)) سورة التوبة، الآية: ١٠٠. وتغافل المتأوّلون للآية المباركة عن ((من)) التبعيضية، أي بعض المهاجرين ←

٦ ـ إن سبهم كبيرة ليس لها مغفرة وأن الساب لأحدهم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1]؛ فكيف بمن يلعنهم؟

فهذه الحصانات وغيرها لم ينتفع بها الصحابة أنفسهم، بل انتفع بها الحكام والمتزلفة لهم ووعاظهم وأصحاب الفتوى لديهم، وأصحاب الخطاب الديني في كل زمان تلوكه ألسنتهم حيث ما وجدت مصالحهم، فكان الإصلاح للناس ينطلق من تلك المفاهيم حيثما قال صاحب القداسة فكل ما نطقت به شفتاه فهو نص مقدس؛ ولذا لزم تنفيذه سواء كان اجتهاد قداسته (الذبح) كما ذبح ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسحق بدنه بحوافر الخيل التي كانت هذه الأخرى مقدسة فقد أسماها عمر بن سعد (خيل الله).

فقال: (يا خيل الله اركبي وأبشري)[2]، أو بسلب بنات رسول الله وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين فقد كان سلباً مقدساً أيضاً فقد اجتهد التابعي عمر بن سعد بن أبي وقاص بحرق بيوتهن فكان نصه مقدساً ولذا تسارع جنده لأمر قداسته وإلى يومنا هذا، فدم الشيعة مباح بل ويتقرب به إلى الله كما فعل خليفة المسلمين وواليه في يوم عاشوراء بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والأنصار مع كونهم من السابقين الأولين للإسلام إلا أن كل ذلك لم يكن دالاً على اختصاصهم بأجمعهم برضا الله تعالى ومن ثم يكون تسويقها بمفهوم رفع القلم عنهم مخالفاً للقرآن الكريم.

(١) تفسير القرطبي: ج١٦، ص٢٩٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣١٥؛ الإرشاد للمفيد: ج٣، ص٨٩؛ أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص١٨٤.

ولأن دوام صناعة القداسة وإنتاج المقدس يستلزم مواد أولية وسياسة تسويقية وأسواقاً يتلاقف المشترون فيها المقدس فقد احتاجت السلطات منذ القرن الأول للهجرة وإلى يومنا هذا إلى إعمال العقل في جانب وحاكمية الجهل في جانب آخر بحسب مقتضيات الملك لا مقتضيات الدين ليصبح كل ما يخدم السلطة وأدواتها مقدساً وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: إعمال العقل أم حاكمية الجهل

إن أخطر ما يواجهه كثير من أصحاب الخطاب الديني ــ حينما يكون الهدف هو الحفاظ على نفوذهم ـ هو إعمال العقل، وذلك أن تفكير الإنسان بما وقع من بعض الرموز الإسلامية من مخالفات صريحة للقرآن والسنة ـ كما أسلفنا ــ يجر بالعقل إلى التحكيم والانقياد إلى النتائج التي تلزم العاقل بالعدول عن هذه الرموز وتجريدها من قدسيتها ومن ثم سلطتها عليه في اتباعها ودوام نفوذها.

مما يعني تهديم تلك العروش التي بنيت على أكتاف الدين، وعلى إغفال العقل، ونفوذ الجهل فيكون هو الحاكم الذي يكبل الإنسان ويسجنه في تلك الظلمات التي أوجدها المتأسلمون.

وعليه: سعى بعض أصحاب الخطاب الديني منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا إلى إغفال العقل وتقييده من خلال تلك الفتاوى والآراء القائلة: (إن لا دور للعقل مقابل الوحي) والعلة في ذلك أنهم يرون في أنفسهم أنهم

الأمناء على الوحي أكثر من صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الشعور النابع من الأنا والجهل المركب لم تكن وليدة اليوم وإنما منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد انبرى بعض الصحابة إلى الاجتهاد فيرى لنفسه رأياً فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ذهب آخر من الصحابة إلى تخوين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاصه والشواهد على ذلك كثيرة نورد منها شاهدين:

الشاهد الأول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابة وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهاداً فيخالفان أمره

قبل إيراد الشاهد نذكر القارئ الكريم بدلالة مصطلح الصحابي الذي مرّ بيانه سابقاً والذي ينحصر في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو مرة في عمره[1]، أو سمع منه بواسطة في زمانه وإن لم يره بعينه.

وعلى هذا التعريف يكون أفراد هذه الحادثة هم من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كالآتي:

عن أنس بن مالك، قال:

(كان في عهد رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم باسمه

(١) تفسير القرطبي: ج٤، ص١٧١.

فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، فقلنا: هو ذا؛ قال:

«إنكم لتخبروني عن رجل أن في وجهه لسفعة من الشيطان».

فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني؟».

قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي ثم قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال أبو بكر: أنا؛ فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحان الله: أقتل رجلاً يصلي؟ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عن قتل المصلين؟ فخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«ما فعلت؟».

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي، وقد نهيت عن قتل المصلين، قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته، قال عمر: أبو بكر أفضل

مني فخرج، فقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«مهيم؟».

قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله، فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

فقال علي:

«أنا».

فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أنت إن أدركته».

فدخل عليه فوجده قد خرج؛ فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان»)[١].

والحادثة تكشف عن جملة أمور:

١ ـ إن من الصحابة من يكون سلوكه الظاهري مكرساً على العبادة كلزوم المسجد والصلاة فيه في حين أن حقيقته كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«في وجهه سفعة من الشيطان».

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج١، ص٤٨٤، ط السعادة.

ومن ثم لا يمكن المساواة فيما بين الصحابة، فمنهم من كان مؤمناً صالحاً نال الفوز والنعيم في الآخرة ومنهم من كان منافقاً قد أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه وهو يصلي في المسجد.

٢ ـ إن القول بعدم الدخول فيما شجر بينهم، وإنهم عدول، وقد اجتهدوا فيما فعلوا؛ هو مخالفة للقرآن والسنة وإغفال للعقل ونفوذ حاكمية الجهل، ومن ثم فهو بدعة ومحدثة صاحبها إلى النار.

٣ ـ إن هذه الأنا الفوقية، والشأنية الجبروتية دفعت هذا الرجل الذي وقف أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكلم معه فأصبح بذلك (صحابياً) إلى الاعتقاد بأنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخير منه فكان مصيره إلى النار وإن هذا المصير الأسود الذي جعله أماماً يقود الناس إلى النار فكان كما قال الله تعالى:

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾[1].

٤ ـ إن مفهوم الاجتهاد لم يكن وليد القرون التي تبعت النبوة إنما هو وليد تلك الفترة فقد اجتهد أبو بكر وعمر فقال أبو بكر: (كرهت أن أقتله وقد نهيت عن قتل المصلين).

وقال عمر بن الخطاب: (وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله).

وهذا الاجتهاد لا يصح وقد أوقعهما في معصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من أن أبا بكر استند في اجتهاده إلى قول رسول

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٨.

الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه اجتهاد فاسد وذلك أن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم قدر أمره بقتل هذا الرجل (الصحابي) ومن ثم لا يحق للمسلم أن ينظر في الحكم وصاحب الحكم حاضر وهو أعلم بما قال، ويقول، وهو المسؤول عن حكم الله ودينه، فضلاً عن أن أمره الحاضر ينسخ أمره السابق، وأن الأمر السابق كان عاماً وأمره الحاضر كان خاصاً ومقيداً.

٥ ـ تكشف الحادثة عن قضية مهمة: وهي أن الصحابة بحاجة إلى شخص يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلم له في كل صغيرة وكبيرة؛ لأنها تتلاعب به الآراء، فيرى لرأيه حكماً في حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يتحقق إلا بوجود حاكمية مطلقة للعقل عند هذا الشخص ولا وجود للجهل في قاموس حياته؛ وقد دلت النصوص الحديثية والتاريخية والعقلية على أن هذه الشخصية الإسلامية متجسدة في علي بن أبي طالب عليه السلام ومن يعاند في ذلك فعليه بقراءة مصادر المسلمين سواء في الحديث أو السيرة أو التاريخ أو ما شاء من ذلك.

الشاهد الثاني: ما رواه البخاري في اتهام الصحابي ذي الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل!!! فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل».

فقال عمر يا رسول الله: أأذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال:

«دعه إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر على رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم.

آيتهم رجل أسود أحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الذي نعته)[1].

والحادثة تكشف عن جملة أمور.

١ ـ إن إطلاق الصلاح وتعميمه على كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو مرة واحدة مع وجود هذا التعدي لحدود الله تعالى فهو

---

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة: ج٤، ص١٧٩؛ مسند أحمد، من مسند أبي سعيد الخدري: ج٣، ص٥٦.

مشكلة في المفهوم وإعلال للعقل توقع صاحبها في الضلال لما للجهل من حاكمية في الأمر كما حدث مع هذا الصحابي الذي ينتقص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتهمه بالظلم، وذلك أن الظلم نقيض العدل وهذا من أسوأ الصفات التي تنسب إلى الإنسان فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل».

٢ ـ يكشف الحديث عن حقيقة غيبية في اختلاف الأمة من بعده وإن بعض الصحابة يمرقون من الدين وقد استطاعوا أن يبثوا الجهل فكانت له حاكمية على الأتباع فتمسكوا بصفة الصحبة وأعموا أعينهم وصموا أسماعهم عن الحق.

٣ ـ إن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي به يعرف الصواب والحق ولذا من تبعه نجا ومن تخلف عنه هوى وهلك.

٤ ـ إن الوصول إلى هذا الاعتقاد يحتاج إلى إعمال العقل والتحرر من حاكمية الجهل التي حكم بها أصحاب السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يستلزم العمل على بناء الخطاب الديني وتجديده وفق حدود الثقلين كتاب الله وعترة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء هم أهل الدين.



المبحث الخامس

تجديد الخطاب الديني أم تجديد البنية الفكرية والمعرفية؟

يتعذر الوصول إلى وضع تعريف جامع لبعض المصطلحات حينما تزدحهم معها آليات فهم اللفظ ودلالته، وذلك أن المعرّف للمصطلح ينطلق من رؤيته الخاصة المرتكزة على أنماط تفكيره ودائرة معارفه المكونة لثقافته.

ومن ثم تأخذنا الآراء في معنى التجديد وما يراد منه إلى اتجاهات مختلفة في التطبيق فضلاً عن المناهج والآليات.

فمن تعريفه بنفي البدع وإظهار السنن وتعليم الناس أحكام دينهم بوسائل مختلفة، وتوظيف النص المخبر عن بعث الله إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[(١)].

إلى محاولة الاندماج في الحداثة والاستفادة من التطور الصناعي؛ ومن العدالة الاجتماعية وحقوق المواطنة والتعايش السلمي والأمن المجتمعي إلى التغيير في وسائل الخطاب المنبري كالإعلام المرئي، ومواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية، إلى التثبت بأكثر ما يمكن بما عليه السلف ونبذ كل ما لم يكن حاضراً في خير القرون... وغير ذلك من الآراء والدعوات

---

(١) سنن أبي داود السجستاني: ج٢، ص٣١١.

والفهم لمصطلح التجديد سيبقى العالم الإسلامي تحكمه تلك الأفكار العقدية التي نشأ عليها المسلم كلا حسب بيئته، وما التجديد إلا محاولات لإرجاع هيبة الذوات التي كانت الأسوة في السير والسلوك لمن جعلوا من أنفسهم أحد لبنات الخطاب الديني.

ومن ثم انتقال تلك الهيبة إلى أصحاب الخطاب الديني أنفسهم وتحقيق القاعدة الجماهيرية لهم؛ ومن أراد الخروج عن تلك الذوات لينفرد بآرائه فمصيره (ان يتهم بالخارج عن الدين؟).

ولذا:

يبقى (الدين) هو الأساس والسنام والمنهل لهذا الخطاب، وإن هذا الخطاب هو الهادي والمضل للفرد والأسرة والجماعة والأمة، وهنا تكمن خطورة الخطاب الديني في قدرته على تغيير البنية الفكرية والمعرفة للإنسان ليخلق منه أداة لقيام السلم والحرب مع نفسه وأسرته ومجتمعه والعالم.

وعليه:

لابد من بنية فكرية ومعرفية عن الدين، وأن هذه البنية الفكرية والمعرفية لا تتحقق إلا من خلال معرفة أهل الدين؛ إذ الانحراف وقع في مسار رقي الإنسان المسلم حينما تأسى بذوات كانت متأسلمة منذ ظهور الإسلام في مكة وإلى يومنا هذا.

بل إننا لنجد أن القرآن قد أظهر خطورة الخطاب الديني لمن اتخذوا الإسلام وسيلة لضرب الإسلام والقضاء عليه بمختلف الوسائل التي كان

الخطاب الديني من أخطرها وأكثرها ضرراً بالإسلام وأهله فكان البيان القرآني لهذا الخطر ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الأولى: اتخاذ الخطاب الديني وسيلة لبلوغ السلطة

يقدم لنا القرآن الكريم صورة واضحة المعالم عن خطورة الخطاب الديني حينما يستخدم أداة للوصول إلى السلطة من قبل أناس عرفوا بأنهم من أهل الدين بل من خير القرون وذلك حينما خاطب الله سبحانه رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

﴿ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(١).

والآية ترشد إلى ما يلي:

أولاً: يقدم القرآن الكريم أنموذجاً لبعض أصحاب الخطاب الديني الذي يمتلك الوسائل الخطابية التي تؤثر في الإنسان فيعجبه قوله ولا شك أن هذا القول الذي كان يرقى إلى إعجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابد أن يكون خطاباً دينياً لا دنيوياً؛ ولأن الدين يرتكز على طهارة القلب وسلامته كان له التأثير في السامع فيرقى إلى الإعجاب، إلا أن المنافق حقيقته

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ ــ ٢٠٦.

(ألد الخصام) والعلة في كونه (ألد الخصام) إن خطابه ديني؛ وذلك أن الخصم العلني والظاهري يتصدى له النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا بما يتناسب مع عدائه وخصومته، أما المنافق فهو عدو داخلي يستخدم الخطاب الديني ليفتك بالدين.

وثانياً: إن الخطورة في الأمر تكمن في هذا أن الفرد قد استخدم الخطاب الديني كي يصل إلى الحكم والتسلط:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ... ﴾[1].

ثالثاً: إن هذا الفرد وهذا النوع من الناس لا ينفع معهم الخطاب الديني الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ... ﴾.

مما يعطينا دليلاً آخر إلى أنه كان يعتمد الخطاب الديني في بادئ أمره ليصل إلى السلطة ومن ثم لا ينفع معه هذا النوع من الخطاب، وذلك أنه لا دين له من الأساس:

﴿ ...أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[2].

والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة وقد غزرت بها حياة السلف لاسيما في القرن الأول من الهجرة النبوية، فمنها:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

الشاهد الأول: استخدام الخطاب الديني في حسم أمر البيعة في مجتمع الكوفة بين عائشة وعمار بن ياسر وتباين قوة تأثير هذه الخطابات في الناس

لعل من أهم الشواهد التأريخية والحياتية لفعالية الخطاب الديني في المجتمع المسلم هو ما شهده مجتمع الكوفة بعد قتل عثمان بن عفان ومبايعة المهاجرين والأنصار والمسلمين لعلي بن أبي طالب في المدينة وقيام طلحة والزبير بنكث البيعة والخروج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وانضمام عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إليهما في هذا الخروج الذي اكتسب صبغة شرعية وتحت عنوان ديني (القصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان) مما دفع بأقطاب هذا الخروج إلى تبني الخطاب الديني في جمع الناس للخروج على علي بن أبي طالب عليه السلام فضلاً عن المال الذي قدم به عبد الله بن عامر والي البصرة الهارب منها إلى طلحة والزبير في المدينة؛ وأما الكوفة فقد شهدت خطابات دينية مختلفة في الفكر والعقيدة والدعوة والمفاهيم ويجمعها دين واحد وهو الإسلام.

ومن ثم فقد احتاج أصحاب الخطاب الديني إلى استخدام مجموعة من الألفاظ ذات دلالات محددة ومعانٍ مؤثرة يتم بها حسم القناعات عند الناس كي ينضموا إلى هذه الفئة أو تلك وقد عزموا على الاقتتال وهم يؤمنون بأن قتالهم جهادٌ في سبيل الله.

وعليه :

فقد كان مجتمع الكوفة يشهد مرحلة مصيرية في تحديد مسيرته الدينية وما يترتب عليها من آثار في الدنيا والآخرة.

وفي بيان هذه المرحلة يروى ابن حبان قائلاً:

(بعث علي – عليه السلام – الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفارهم فلما قدموا الكوفة قام أبو موسى الأشعري في الناس وكان والياً عليها وأخبرهم بقدوم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين؛ وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى والي الكوفة وإذا في كل كتاب منها:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنه كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار)[1].

والخطاب يحتوي على مجموعة من العناصر الدينية والنفسية التي كانت عائشة تسعى من خلالها لاستحصال إعجاب الناس وتأثرهم بهذا الخطاب ومن ثم تحقيق الهدف الحقيقي الذي كان المحرك لهذا الخطاب، وهذه العناصر كالآتي:

١ ـ أول ما تبتدئ به زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطابها

(١) الثقات لابن حبان: ج٢، ص٢٨٢.

الديني هو عنصر الشأنية الباعثة على إكسابها الحصانة وتقديس ما تنطق به لما يتضمنه هذا المنزل الذي لها من كونها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قداسة التصاقية نابعة من المساس بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا عرفت نفسها بالاسم والصفة فقالت: (من عائشة أم المؤمنين).

٢ ـ تنتقل عائشة من تقديم صفتها (أم المؤمنين) إلى بيان توحيدها لله تعالى كي تزيل الشكوك التي قد تدور في أذهان الناس في الكوفة حول شرعية هذا الخروج، بمعنى أنها من أهل التوحيد ومن شأنها أن تكون مهتمّه بما يتعرض له أهل الإسلام؛ ولذا قالت: (أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو).

٣ ـ إن تقديم الصفة على التوحيد يكشف عن شخصيتها ومكونها العقدي بمعنى التعلق بالصفة أكثر من المنزلة الإيمانية وهو ما سجل فارقاً بين خطاب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة وبين خطابها وانعكاساته على السامع في تكوين صورة عن شخصيتها حيث كان أمير المؤمنين عليه السلام يبتدئ بالتوحيد قبل الصفة فكان يقول عليه السلام:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة»[1].

٤ ـ إثارة العاطفة الجماهيرية حول قتل عثمان وبالطريقة التي حدثت ولذا لم تسهب عائشة في إيراد بعض التفاصيل وإنما اكتفت بالإشارة إلى أنه أصبح معلوماً كيف قتل فقالت: (فإنه كان من قتل عثمان ما قد علمت).

---

(١) نهج البلاغة ج٣، ص٢؛ الغارات للثقفي: ج١، ص٢١٠؛ شرح الاخبار للمغربي: ج١، ص٣٨٣.

٥ ـ تبرير هذا الخروج وإكسابه صفة رعوية، فضلاً عن كونها دينيـة، ألا وهي الإصلاح، وهي طريقة ذكية في كونها حمالات أوجه تـستدر الإعجـاب، وتبعث على الارتياح، فمن لا يؤيد الإصلاح بـين المسلمين ومـن ثم فمجـرد الإعجاب دون إظهار التأييد العلني والفعلي يعـد إنجازاً لهذه الـدعوة: (وقـد خرجت مصلحة بين الناس).

٦ ـ الأمر بالجلوس عن الخروج والرضا بما هم عليه من ترك القتال فإن ذلك من مستلزمات العافية، ولذا: قالت: (فمر من قبلك بالقرار في منـازلهم والرضا بالعافية).

٧ ـ تقيـد هـذا الجلـوس في المنـازل حـتى تـتمكن مـن الانتـهاء مـن أمـر الإصلاح بين المسلمين الذي خرجت لأجله كما تزعم.

٨ ـ ترك أمر القتال مفتوحاً ولكن لفئة محددة مـن المـسلمين وهـو تمهيـد للمستقبل حينما تتمكن من (الإصلاح) ولو بالسيف.

٩ ـ شرعنة قتال المسلمين تحت عنـوان (مفارقـة الجماعـة) وهـو عنـوان أعم من عنوان القتل فالأول يحارب المسلمين والثاني يحارب أشخاصاً لو ثبت عليهم الجرم.

وهذه العناصر كلها كفيلة بحبس الناس عن الخروج لنصرة علي بـن أبي طالب عليه السلام في قتالـه للنـاكثين بيعتـه والـذين كـانوا قـد فـارقوا جماعـة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في بيعتهم لعلي بن أبي طالب عليـه السلام.

وعليه:

يترتب على عمار بن ياسر أن يأتي بخطاب يحتوي على عناصر دينية تدحض تلك العناصر التي تضمنها كتاب عائشة كي يستطيع إقناع الناس واستمالة قلوبهم إلى الخروج لنصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكيف كان خطابه الديني لما سمع خطاب عائشة إلى أهل الكوفة.

قال عليه الرحمة والرضوان:

(أمِرَتْ عائشة بأمر وأمرْنَا بغيره، أمرَتْ أن تقر في بيتها، وأمرْنَا أن نُقاتل حتى لا تكون فتنة، فهو ذا تأمرنا بما أمرَتْ، وركَبَتْ ما أمرْنَا به؛ ثم قال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخرجوا إليه، ثم انظروا في الحق ومن الحق معه)[1].

ويحتوي الخطاب الديني للصحابي الجليل عمار بن ياسر على جملة من العناصر المؤثرة والتي استطاعت أن تغيّر رأي الناس وقناعاتهم بما اختاروه من النصرة لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهذه العناصر الإقناعية كالآتي:

١ ـ اعتمد الصحابي عمار بن ياسر (عليه الرحمة والرضوان) على مخاطبة العقل دون العاطفة التي تستلزم المداهنة وتغيير الوقائع، وهو ما يترتب عليه محاذير شرعية كالغبن والمكر والاحتيال والتغرير وغيرها، فضلاً عن أن العاطفة لا تقدم قناعات ثابتة فقد يأتي خطاب آخر يحتوي على عواطف

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ص١٤٠؛ الثقات لابن حبان: ج٢، ص٢٨٢؛ الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٢، ص٤٦٠.

جياشة فيعصف بما قبله من العواطف.

٢ ـ استطاع الصحابي عمار بن ياسر (عليه الرحمة والرضوان) من إبطال مشروع عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج جملة وتفصيلاً على الرغم من قصر الكلمات؛ بل استطاع أن يعيد الموازين إلى نصابها الحقيقي وبيان حدود ما كلفت به عائشة وما كلف به المسلمون.

فقد (أمرها الله عز وجل بأن تقر في بيتها لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1]، ومن ثم فخروجها مخالف للقرآن والسنة فكيف للمسلم أن يتبعها وهي في الأصل قد خالفت القرآن والسنة المحمدية؟!

٣ ـ إن قتال علي بن أبي طالب لطلحة والزبير وعائشة هو تكليف شرعي قد أمر الله به لقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

فهؤلاء قد شقوا جماعة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في مبايعتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام؛ ومن ثم فإن الخروج يلزم أن ينصرف لرد هؤلاء وليس العكس ولذا قال رضوان الله عليه: (وأمرْنَا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة).

فالقرآن والسنة يلزمان من آمن بهما أن يخرج للالتحاق بعلي بن أبي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

طالب عليه السلام وليس بعائشة وطلحة والزبير.

٤ ـ إن دعوته للناس إلى الخروج كانت ترتكز على تحكيم العقل من خلال النظر في الحق أولاً وهو منهج قرآني ونبوي فقد سارت الأنبياء منذ آدم وإلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في مخاطبة العقل البشري في أمر التوحيد ونبذ الوثنية وبالعقل آمن الناس بدعوات الأنبياء عليهم السلام.

وبهذا المنهج الرسالي والقرآني خاطب عمار بن ياسر الناس في الكوفة فدعاهم إلى معرفة الحق أولاً ومن ثم النظر فيما يقوده الحق بمعنى: أن الحق يبحث عن أهله، فمن كان من أهل الحق فسيمكث عنده الحق، ولذا قال عليه الرحمة والرضوان:

(هذا ابن عم رسول الله فاخرجوا إليه، ثم انظروا في الحق ومن الحق معه).

وعليه:

فالتجديد في الخطاب الديني هو ما شهده أهل الكوفة من تجديد للبنية الفكرية بين الالتفات إلى الشبهات وتشخيص الحق أو النظر إلى الرموز. فهذه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقديسها دون تقديس الحق وتشخيصه واتباعه يقود المسلم إلى الضلال والهاوية.

ولذا: فإن كان الحق مع أم المؤمنين فعلى المسلم أن يتبعها، وإن كان الحق مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام فعليه أن يتبع علي بن أبي طالب عليه السلام، فاختار أهل الكوفة علي بن أبي طالب عليه السلام؛

لأنهم أدركوا أن الحق معه، كما أدركه المهاجرون والأنصار فخرجوا يقاتلون الفئة الباغية.

الشاهد الثاني: استخدام الخطاب الديني في خروج طلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطة

في خروج طلحة والزبير من المدينة وهم يطالبون (بدم عثمان) بلحاظ كونه خليفة المسلمين تحت حماسة الخطاب الديني مستعينين بعائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ناصراً وملهماً جماهيرياً بما تمتلك من حصانة بين المسلمين.

أما الدافع الحقيقي لهذا الخطاب الديني المطالب بدم خليفة المسلمين وإقامة الحد عليه كان الوصول إلى الحكم والجلوس على كرسي الخلافة الإسلامية، وحيث أن المانع الأساس من تحقيق هذا الهدف هو مبايعة المسلمين لخليفة آخر وهو الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه مما يجعل الأمر في غاية العسر؛ ومن ثم لابد من سلاح الدين للوصول إلى خلافة المسلمين فكان الخطاب الديني التحريضي على علي بن أبي طالب عليه السلام وقتاله تحت مسوغات هذا الخطاب.

ولأنهم أعمتهم الدنيا عن الدين ونسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم بقتالهم وصي رسول رب العالمين مما يعني أنهم يقاتلون رجلاً مؤيّداً من السماء ومن ثم لا يخفى عليه حقائق النفوس وغاياتهم؛ إلا أنه كان يتعامل معهم بما يفرضه عليه القرآن وعلم النبوة التي أورثها له سيد الأنبياء والمرسلين صلى

الله عليه وآله وسلم.

ولذا: بعث عبد الله بن عباس مندوباً عنه إلى الزبير بن العوام بعد أن نهاه من الالتقاء بطلحة فقال عليه السلام لابن عباس:

«لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول: الذلول؛ ولكن إلق الزبير فإنه ألين عريكة فقل له، يقول لك ابن خالك:

«عرفتني بالحجاز أنكرتني بالعراق، فما بدا مما عدا»[١].

فذهب ابن عباس إلى الزبير فكان اللقاء بينهما كالآتي:

قال ابن عباس: إني قد أتيت الزبير، فقلت له[٢]، فقال: قل له إني أريد ما تريد ـ كأنه يقول الملك ـ لم يزدني على ذلك، فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته)[٣].

وروي عن المدائني أنه قال:

بعث علي عليه السلام ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لكم:

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ص٤٩٦؛ عيون الأخبار لابن قتيبة: ج١، ص٢٩٢؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٥، ص٨؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢، ص١٦٢؛ جواهر المطالب للباعوني: ج٢، ص١٣؛ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٣، ص١٩٤.

(٢) فقلت له ما قال علي عليه السلام.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص١٦٥.

«ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رابك مني، فاستحللت به قتالي؟».

قال: فلم يكن له جواب إلا أنه قال لي: إنّا مع الخوف الشديد لنطمع؛ لم يقل غير ذلك.

قال أبو إسحاق فسألت محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ما تراه يعني بقوله هذا؟ فقال:

(أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته، عن هذا قال: يقول: إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه، نطمع أن نلي مثل الذي وليتم)[1].

فكان الملك وتولي أمر المسلمين هو الغاية والهدف أما الوسيلة فكانت الخطاب الديني المرتكز على المطالبة بدم عثمان بن عفان وخروج زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقيادة المعركة، وكلا الأمرين ملتصق بالدين فكانا مادة غنية لشحن الخطاب الديني.

الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبير لوسيلة الخطاب الديني في حربه لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لأجل تولي أمر المسلمين

ذكر المؤرخون خروج عبد الله بن الزبير يوم الجمل وهو يخطب أهل البصرة ويحرضهم على قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩، ص٣١٧.

(أيها الناس! إن علي بن أبي طالب قتل الخليفة بالحق عثمان، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولي عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً تطالبون بدم خليفتكم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم وأحسابكم وأنسابكم أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم، أغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، ألا وإن عليا لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه، والله لأن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم).

وأكثر من هذا القول ونحوه، فبلغ ذلك علياً، فقال لولده الحسن:

«قم يا بني فاخطب».

فقام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

«أيها الناس قد بلغنا مقالة ابن الزبير في أبي، وقوله فيه: (إنه قتل عثمان)، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير في عثمان وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنى عليه، وإن طلحة يومذاك راكز رايته على بيت ماله، وهو حي، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقوا بذمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأما قوله: (إن علياً ابتز الناس أمرهم)، فإن أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأت على ما ادعاه ببرهان، وأنى له ذلك.

وأما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من

أهل حق توردوا على أهل باطل، أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها»)[(١)].

والملاحظ في الخطاب الديني لعبد الله بن الزبير جملة من المفاهيم الدينية التي أراد تسخيرها لغايته في حرب علي بن أبي طالب عليه السلام بلحاظ أن عليّاً عليه السلام هو العقبة الأساس في منعه من خلافة المسلمين، هذه الغاية والهدف ظهرا جلياً حينما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة على أهل مكة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهلاك يزيد بن معاوية.

فكانت سيرته في الناس تكشف عن تلك الحقيقة القرآنية التي نطقت بها الآية المباركة:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾[(٢)].

فمما كان من فعله حينما تولى الخلافة على مكة ما يلي:

١ ـ تغييره لبناء الكعبة المشرفة

إن أول عمل قام عبد الله بن الزبير في تغيير المعالم المقدسة هو قيامه بتغيير بناء الكعبة المشرفة من وضعها الذي كانت عليه حينما بناها نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث كان ارتفاعها تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً أي ضعف قياسها الذي كانت عليه؛ ثم جاء

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٢، ص٤٦٦؛ أحاديث عائشة للعسكري: ج١، ص٣١٥ ـ ٣١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

الحجاج بن يوسف الثقفي فهدمها بالمنجنيق بعد أن تحصن بها عبد الله بن الزبير وأعاد بناءها فجعل ارتفاع جدرانها سبعة وعشرين ذراعاً[١].

٢ ـ حبسه لعبد الله بن عباس وولده في الشعب وإضرامه النار عليهم

قام بحبس عبد الله بن عباس وولده في الشعب وأضرم عليهم النار حتى أنقذه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام منه بعناء بالغ[٢].

٣ ـ تركه للصلاة على محمد وآله أربعين جمعة

تركه للصلاة على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين جمعة حينما كان يخطب الناس في صلاة الجمعة حتى اعترض عليه الناس، فقال:

(إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن اقر عينهم بذكره)[٣].

٤ ـ محاربته الشديدة لحبر الأمة عبد الله بن عباس

محاربته الشديدة لحبر الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس أشد المحاربة، حتى قال عبد الله بن عباس لولده علي وقد ذبحت عنده بقرة فأخرج

(١) الكافي للكليني: ج٤، ص٢٠٧، والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٣١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤، ص٦٢؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٨٨؛ النصائح الكافية لابن عقيل: ص١٢٥؛ البحار للمجلسي: ج٤٨، ص١٨٣.

(٣) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص٣١٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩، ص٩٢.

كبدها فوجد فيه تنقيباً فقال ابن عباس لولده: هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك[1].

٥ ـ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف

قيامه بنفي عبد الله بن عباس إلى الطائف حتى مات فيها فأوصى ولده عليّاً قائلاً:

(إلحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة)[2].

ويكشف هذا القول عن تهجير بني عبد مناف من المدينة وأن بعضهم خرج هارباً من سطوة ابن الزبير فاختار حكم الطلقاء في الشام على السكن في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيت الله في مكة.

وغير ذلك من الأفعال التي تكشف عن حقيقة استخدام الخطاب الديني وسيلة للوصول إلى السلطة، وإن هذا الخطاب الذي كان من سماته أنه يعجب الناس ويتأثرون به فإن استخدامه من بعض المنتحلين للإسلام لغرض الملك والسلطة والخلافة سينتج عنه ويلات عظيمة تهلك الحرث والنسل ويعم الفساد في الأرض كما أخبرت بذلك الآية المباركة.

وعليه:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٣١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٤، ص٦٢.

فالتجديد ينبغي أن يكون في البنية الفكرية وذلك من خلال تكوين معارف جديدة عن الإسلام ومعرفة أهله الحقيقيين وهو ما نتناوله في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد في الخطاب الديني الذي سنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لابد من تجديد في البنية الفكرية وتكوين منظومة معرفية تمكن الإنسان المسلم من بناء نفسه وأسرته ومجتمعه بناءً صحيحاً يحقق له الأمن والحياة الكريمة كما أراد الله تعالى له ذلك ولأجله بعث الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين.

وبهذا أمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وإليه دعا أمته وعليه سارت عترته صلوات الله عليهم أجمعين فاعتمدوا قبل الاهتمام بالخطاب الديني الاهتمام بالإنسان ورقيه ونجاته في الدنيا والآخرة فكان خطابهم الديني يرتكز على منظومة معرفية تقوم ببناء الفكر الإنساني وترمم ما أفسدته التحولات الفكرية في الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ كما مرّ آنفا ــ، من خلال البحث.

فكان خطابهم الديني إحدى الوسائل الإصلاحية في الأمة التي أعادت رسم الصورة الحقيقية للدين.

كي يستطيع المسلم من خلالها الاهتداء إلى أهل الدين، فمن عرف

الدين عرف أهله، ومن عرف أهله أمن من الضلال ونجا في الآخرة؛ فضلاً عن الآثار الكبيرة التي تثمرها هذه المعرفة في بناء الحياة فتكون كما أراد الله لها أن تكون ((خير أمة أخرجت للناس)).

وعليه:

تكمن الخطوة الأساس في البناء الفكري في معرفة الدين، فكيف يتعرف الإنسان على دينه الذي يطمئن أنه دين الله الذي ارتضاه؟

وجوابه فيما يلي:

أولاً: من هم أهل الدين الذين عرّفهم القرآن للناس؟

إنّ من بين أهم التكاليف التي كلف الله تعالى بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي تعريف الناس بأهل دينه الذين اصطفاهم الله تعالى لشريعته يبينون للناس ما اختلفوا فيه كما أمروا في إرجاع ذلك في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إلى الله وإليه ولا شك أن الإنسان حينما يعزم على الرجوع إلى الله تعالى فيما يشكل عليه من دينه ودنياه فإنه بحكم العقل يلزم أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من بعثه الله إلى الخلق ليصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وذلك أن القرآن شريعة حياة متكاملة تبدأ مع الإنسان من مرحلة ما قبل الولادة وانعقاد النطفة إلى الأجنة ثم الولادة وما بعدها حتى يتمم الإنسان مدته التي حددها الخالق له فينتقل إلى عالم البرزخ حيث النتائج التي حققها عمله الدنيوي، ومن ثم يبقى له منها ما

ينتفع به أو يضر به وهو في قبره كما دلت النصوص الشريفة.

وعليه:

فكل ما يتعلق بهذا الإنسان قد أوجدت له الشريعة حدوداً وسنناً وأسباباً ومن ثم فهو بحاجة إلى معرفة هذه الحدود والسنن كي يحيا بسلام في الدنيا والآخرة.

إلا أن المشكلة تقع في نفس الإنسان فهو يرى بما خلق الله تعالى فيه من قوة العقل والروح أنه الأقوى والخصم الذي لا يهزم فهو لدود[١]، ومجادل شرس إلى الحد الذي يرى في نفسه أن الموت والحياة والصحة والمرض والغنى والفقر والعسر واليسر بيده يتحكم بها كيف يشاء.

ومن هنا:

نشأت الفرق والتحزبات والفئات والوثنية والطاغوتية والجبروتية ومن ثم أصبح لدى الإنسان خليط من التشريعات والمعتقدات والمفاهيم بعد أن ترك لقواه النفسية العنان في سوقه إلى تلك القوى وتجاذباتها والأهواء وسطواتها جازماً بصواب رأيه وخطأ خصمه مندفعاً إلى إقصاء مخالفيه في أقل الأحوال إن لم يكن قد أطفأ صوت غيره وغيب شخص مخالفه.

ومن ثم: كيف يقنع بأن هذا الدين كان له نخبة اصطفاها الله تعالى وهو يرى في نفسه أنه المؤهل لفهم الشريعة إن لم يندفع إلى الاعتقاد بأنه أحد

---

(١) قال تعالى في سورة يس، الآية: ٧: ((أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)).

أعمدها يلحقه ما يلحقها من الشرافة والقدسية والشأنية والخدمة، فمفهوم خدمة الشريعة يعني خدمته التي منحها كل بركاته ورضاه.

وكيف لا يطلق الفتاوى (الشرعية) في خصومه والرادين عليه والمظهرين للناس حقيقة دينهم وتصحيح مسار معتقداتهم؟ لا شك أن خصماءه من البدع والمحدثات الذين استوجبوا القصاص قتلاً ونفياً وتكفيراً وتدنيسا.

ولأن المشرع عزّ شأنه حكيم عالم عزيز فقد خص أهل دينه والمصطفين لشريعته بصفات تدفع عنهم التهمة وتميزهم عن الكاذبين وبها يفتضح المدعون ويخزى الكاذبون؛ فبهم يعرف الصواب وإليهم تدب الألباب، ولهم تحن القلوب وتهوي الأفئدة.

أما من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، فأولئك كما عرّفهم القرآن الكريم:

﴿...وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

ومن ثم لا ينفع معهم كلام مسموع أو مقروء.

وعليه: فإن الله تعالى خص أهل دينه بصفات تميزهم عن الناس كي لا ينتحل منزلتهم منتحل ثم يأتي الناس يوم القيامة فيقولون: أي رب لم نكن نعلم من هم فقد تشابه الأمر علينا، لماذا لم تجعل لهم صفات تميزهم وتدلنا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

عليها لنعرفهم، وهذا أمر لم يغفل عنه القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

ولذا: كانت صفات أهل دينه كالآتي:

١ ـ إنهم مطهرون من الآثام وكل شيء قذر

وهي ميزة لا يستطيع الإنسان وإن اجتهد على حصولها ما لم يكن هناك اختصاص من الله تعالى؛ وإلا فالساعون في شرق الأرض وغربها في دعواهم بأنهم أصحاب فكر ورؤى وشرائع إلا أنهم ليسوا منزهين عن العيوب وإن اجتهدوا.

ومن ثم فالطهر صفة إلهية اختصت بها الشريعة ومن خصهم الله لها فقال تعالى:

﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

٢ ـ العلم بالقرآن والسنة

من الصفات التي خص الله تعالى بها أهل شريعته العلم بالقرآن وتأويله وهي صفة انفرد بها أهل القرآن المصطفين، فقال تعالى:

---

(١) سورة النساء، الآية: : ١٦٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾(١).

هذه الآية المباركة نجد مصداقها في التاريخ الإسلامي متجسداً في شخصية واحدة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن جميع الصحابة ـ مع ما لديهم من معارف ـ إلا أنهم كانوا يحتاجون علم علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يحتج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى أحدٍ منهم في مسألة من العلم سواء علمه بالقرآن أو السنة أو في الكتب والشرائع السماوية التي كانت قبل الإسلام؛ وهذا الأمر لا يحتاج إلى تدليل أو إحالة مرجعية لمن كان له أدنى إطلاع على حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو أردنا أن نورد للقارئ ما ورد في الأثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة أو عن نفس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لخرج الكتاب عن موضوعه.

٣ ـ الصدق

إن أول ما عرفه العرب عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما درج فيما بينهم، صفة الصدق والأمانة، فعرفه الناس صالحهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

وطالحهم بـ(الصادق الأمين) فكانت صفته هذه قبل صفة النبوة والرسالة، وذلك أن الصدق هو الأساس في تبليغ الرسالة وبيان الشريعة.

فكل ما يتلفظ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالطه الكذب وقد شهد الله تعالى له بذلك، فقال سبحانه:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾(٢).

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾(٣).

وقال تعالى:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾(٤).

فقلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادق، ولسانه صادق، وفعله صادق، وهو الصادق الأمين، وكذا من اختارهم الله لشريعته فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(٥).

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ١١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ولو درس الإنسان التاريخ وكتب الحديث لوجد أن عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياءه والأئمة من بعده أبناء علي وفاطمة وهم اثنا عشر إماماً سلام الله عليهم أجمعين حينما بينوا الشريعة لم يختلف اثنان منهم في حكم من أحكام الشريعة فيقول أحدهم هذا حلال والآخر يقول هذا الحرام بما يرشد إلى أنهم عليهم السلام كانوا ينهلون من منهل واحد ومشروع واحد فكانوا الصادقين.

وعليه:

تعد هذه الصفات وغيرها أهم الأدوات التي تقود العقل والقلب إلى معرفة الدين فصفة الطهر فقال تعالى:

﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾[1].

وخزانة العلم فقال:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

وفي أهل الدين قال:

﴿ ...وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[3].

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة يس، الآية: ١٢.

وصفته الصدق فقال سبحانه عن القرآن:

﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1].

وعن أهل دينه قال:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2].

وغيرها من الصفات التي كانت متلازمة فيما بين القرآن وأهله.

أما إذا جئنا إلى بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده الأمة إلى أهل الدين فما أكثره وأيسره وأوضحه وأقطعه حجة على المسلم في الدنيا والآخرة، وهو ما سنتناوله في (ثانياً).

ثانياً: خير ما نستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته وفيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ خير ما نورده هنا ونستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته بعد أن رجع مع معركة النهروان التي قاتل فيها الخوارج، وفي الخطبة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته في بيان ما يؤمن لهم الهداية وعدم الوقوع في الفتنة؛ والخطبة رواها ثقة الإسلام الشيخ الكليني عليه الرحمة والرضوان

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ورواها عنه السيد ابن طاووس طيب الله ثراه عن: (علي بن محمد ومحمد بن الحسن وغيرهما، عن سهل بن زياد، عن العباس بن عمران، عن محمد بن القاسم بن الوليد الصيرفي، المفضل عن سنان بن ظريف، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بهذا الخطاب إلى أكابر أصحابه، وفيها كلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى المقربين من الأظلة، الممتحنين بالبلية، المسارعين في الطاعة، المنشئين في الكرة، تحية منا إليكم، سلام عليكم، أما بعد:

فإن نور البصيرة روح الحياة الذي لا ينفع إيمان إلا به مع إتباع كلمة الله والتصديق بها، فالكلمة من الروح، والروح من النور، والنور نور السماوات والأرض، فبأيديكم سبب وصل إليكم منا نعمة من الله لا تعقلون شكرها، خصكم بها واستخلصكم لها.

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ ﴾[1].

إن الله عهد أن لن يحل عقده أحد سواه، فتسارعوا إلى وفاء العهد، وامكثوا في طلب الفضل، فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يقضي فيها ملك قادر، ألا وإن الأمر كما قد وقع لسبع بقين من صفر، تسير فيها الجنود، يهلك فيها

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

البطل الجحود، خيولها عراب، وفرسانها حراب، ونحن بذلك واقفون، ولما ذكرنا منتظرون انتظار المجدب المطر لينبت العشب، ويجنى الثمر، دعاني إلى الكتاب إليكم استنقاذكم من العمى، وإرشادكم باب الهدى، فاسلكوا سبيل السلامة، فإنها جماع الكرامة، اصطفى الله منهجه، وبين حججه، وأرف أرفه، ووصفه وحده وجعله نصا كما وصفه، إن العبد إذا أدخل حفرته يأتيه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فأول ما يسألانه عن ربه، وعن نبيه، وعن وليه، فإن أجاب نجا وإن تحير عذباه.

فقال قائل: فما حال من عرف ربه، وعرف نبيه، ولم يعرف وليه؟

فقال: ذلك مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

قيل: فمن الولي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: وليكم في هذا الزمان أنا، ومن بعدي وصيي، ومن بعد وصيي لكل زمان حجج الله كي ما تقولوا كما قال الضلال قبلكم حيث فارقهم نبيهم:

﴿ ...رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾[1].

وإنما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله:

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٤.

﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾[١].

وإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى يعلن إمام علمه، فالأوصياء قوام عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله إياهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عز وجل:

﴿ ...وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ... ﴾[٢].

وهم الشهداء على الناس، والنبيون شهداء لهم بأخذه لهم مواثيق العباد بالطاعة، وذلك قوله:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾[٣].

وكذلك أوحى الله إلى آدم: أن يا آدم! قد انقضت مدتك، وقضيت نبوتك، واستكملت أيامك، وحضر أجلك، فخذ النبوة وميراث النبوة واسم الله الأكبر فادفعه إلى ابنك: هبة الله، فإني لم أدع

(١) سورة طه، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

الأرض بغير علم يعرف، فلم تزل الأنبياء والأوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الأمر إلي، وأنا أدفع ذلك إلى علي وصيي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، وإن عليا يورث ولده حيهم عن ميتهم، فمن سره أن يدخل جنة ربه فليتول عليا والأوصياء من بعده، وليسلم لفضلهم، فإنهم الهداة بعدي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، فهم عترتي من لحمي ودمي، أشكو إلى الله عدوهم والمنكر لهم فضلهم، والقاطع عنهم صلتي، فنحن أهل البيت شجرة النبوة ومعدن الرحمة ومختلف الملائكة، وموضع الرسالة، فمثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له، فأيما راية خرجت ليست من أهل بيتي فهي الدجالية، إن الله اختار لدينه أقواما انتجبهم للقيام عليه والنصر له، طهرهم بكلمة الإسلام، وأوحى إليهم مفترض القرآن، والعمل بطاعته في مشارق الأرض ومغاربها، إن الله خصكم بالإسلام، واستخلصكم له، وذلك لأنه أمتع سلامة، وأجمع كرامة، اصطفى الله منهجه، ووصفه ووصف أخلاقه، ووصل أطنابه من ظاهر علم وباطن حكم، ذي حلاوة ومرارة، فمن طهر باطنه رأى عجائب مناظره في موارده ومصادره، ومن فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الأمثال والسنن، فظاهره أنيق، وباطنه عميق، ولا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه مفاتيح

الكلام، ومصابيح الظلام، لا يفتح الخيرات إلا بمفاتحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه، فيه تفصيل وتوصيل، وبيان الاسمين الأعلين اللذين جمعا فاجتمعا، لا يصلحان إلا معا، يسميان فيفترقان، ويوصلان فيجتمعان، تمامهما في تمام أحدهما، حواليها نجوم، وعلى نجومها نجوم، ليحمي حماه، ويرعى مرعاه، وفي القرآن تبيانه وبيانه وحدوده وأركانه، ومواضع مقاديره، ووزن ميزانه، ميزان العدل، وحكم الفصل، إن دعاة الدين فرقوا بين الشك واليقين، وجاءوا بالحق، بنوا للإسلام بنيانا فأسسوا له أساسا وأركانا، وجاءوا على ذلك شهودا بعلامات وأمارات، فيها كفي المكتفي، وشفاء المشتفي، يحمون حماه، ويرعون مرعاه، ويصونون مصونه، ويفجرون عيونه، بحب الله وبره وتعظيم أمره وذكره بما يحب أن يذكر به، يتواصلون بالولاية، ويتنازعون بحسن الرعاية، ويتساقون بكأس روية، ويتلاقون بحسن التحية، وأخلاق سنية، قوام علماء أمناء، لا يسوق فيهم الريبة، ولا تشرع فيهم الغيبة، فمن استبطن من ذلك شيئا استبطن خلقا سنيا، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، واجتنب من يرديه، ويدخل مدخل كرامة، وينال سبيل سلامة، تبصرة لمن بصره، وطاعة لمن يهديه إلى أفضل الدلالة، وكشفا لغطاء الجهالة المضلة المهلكة، ومن أراد بعد هذا فليظهر بالهدى دينه، فإن الهدى لا تغلق أبوابه، وقد فتحت أسبابه ببرهان

وبيان، لامرئ استنصح وقبل نصيحة من نصح بخضوع وحسن خشوع، فليقبل امرئ بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، والسلام»[١].

إذن:

لا يجد الإنسان عذراً يوم القيامة حينما يسأل عن إمامه الذي أخذ عنه دينه الذي يدين الله تعالى به، وهذا أولاً.

وثانياً: أن الغرض من كتابة أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الكتاب هو لتجديد البنية الفكرية للمسلم فيعرف أين يضع قدمه، ومن أين يأخذ دينه، وبمن يضع أغلى ما يملك وهو إيمانه بالله تعالى ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وليس التجديد هو اختيار الكلمات في الخطاب الديني أو التمظهر بالعصرنة مع ما لها أغراض خدمية تنهض بالمستوى المعيشي للإنسان وليس سلبه عقله وثقافته ودينه.

وثالثا: قطع الحجة على من أراد أن يدعي أحقيته في الجلوس مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتي الناس بغير حق في أمر دينهم ودنياهم.

ورابعاً: كي لا يحتج محتج يوم القيامة على الله فيقول ما علمت حقيقة الأمر ولم أبلّغ به.

وخامساً: كان ذلك تقنيناً لحياة المؤمنين وتثبيتاً لهم فيما سيمرون به من

---

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة: ص١٨٩ ـ ١٩؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٣٠، ص٣٧ ـ ٤٢؛ نهج السعادة للمحمودي: ج٥، ص١٣٤.

شبهات ومحن عظيمة كقتل وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل الإمام الحسن عليه السلام وما يجري على الإمام الحسين عليه السلام وعياله في كربلاء، فضلاً عن اتباع كثير من المسلمين للباطل وتحزبهم لشيعة بني أمية وانحدارهم الفكري والمعرفي.

ولذا: كانت هذه الكتب التي أرسلها الإمام علي عليه السلام في بلاد المسلمين وخص بها شيعته لغرض حفظهم من الفتن وتهيئة الأرضية لبناء المجتمع المسلم من الانهيار، ولهذه الأمور وغيرها كان خطاب العقيلة زينب عليها السلام في مجتمع الكوفة بأدواته الإصلاحية في بناء منظومة معرية تمكن الإنسان من التغيير والنهوض نحو الحياة الكريمة، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم.



المبحث السادس

دور خطاب العقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة

لم يشهد المجتمع الإسلامي حدثاً أثرت نتائجه في الإسلام إلى يومنا هـذا بل ـ ولم تزل ـ حتى ظهور المهدي من آل محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم مثل حدث مقتل الإمام الحسين عليـه الـسلام في يـوم عاشـوراء وعلـى أرض كربلاء في العراق.

وإن المقدمات والأسباب التي كونت هـذا الحـدث هـي الأخـرى لم تكـن صغيرة أو عادية بل مما لا شك فيه أنها كانت بموازاة وقوع الحـدث؛ وذلـك أن التغيير في البنية الفكرية من خلال مجموعة من الوسائل، كان أبرزهـا الخطـاب الديني قد أسـهمت بـشكل فعـال في انـدفاع المـسلمين إلى ارتكـاب مثـل هـذه الجريمة البشعة في حق نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قتل ريحانته وسيد شباب أهل الجنة مع أهل بيته جميعاً بمـا فـيهم طفلـه الرضـيع ذو الـستة الأشهر، والتمثيل بالأجساد، وسحقها بحوافر الخيل، وتقطيع الرؤوس وحملها مع النـساء وبنـات رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وهـنّ ينظـرْنَ إلى رؤوس أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن مع أطفالهن وقد أفقـدهم الهلـع والخـوف كل قرار، فبين صارخ باكٍ وشاخص عينه إلى الرؤوس وقد اختنـق صـوته في

صدره وجمد الدم في عروقه فمن مات منهم بالطريق دفن في محله، ومن أعانته قواه على العيش كان بقية حياته يعيش تلك المأساة التي تغلغلت في الوجدان الإنساني.

ومن ثم:

فإن المسؤولية الشرعية التي ألقيت على عاتق العقيلة زينب عليها السلام وابن أخيها الإمام زين العابدين عليهما السلام في ترميم هذا الشرخ والتلق في البنية الفكرية للمسلم فضلاً عن حفظ من بقي من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تستلزم أن يكون خطابها الديني يحمل من المقومات التي تستطيع أن تعيد المسلم إلى الإسلام الحقيقي المحمدي، وتنتزع منه الأفكار الهدامة والمعطيات الإرهابية والتكفيرية.

فكان التجديد في الخطاب الديني يرتكز على إصلاح البنية الفكرية وترميها وليس على الكلمات التحريضية أو المصطلحات المنمقة أو الأكاذيب، أو البدع وإنما على تشخيص مواطن الانحراف الفكري وطرق معالجتها مما أحدث تغييراً قوياً أعاد التوازن إلى العقيدة الإسلامية بعد أن كادت تصبح جاهلية عمياء وأموية جهلاء لا تحمل إلا العداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله ومما آمن بهما.

وعليه: فإن دور الخطاب الديني للعقيلة زينب في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي كان كالآتي:

المسألة الأولى: من هي العقيلة زينب عليها السلام؟

قد تكون الإجابة على السؤال الذي تصدّرت به المسألة الأولى تحصيل حاصل لكثير من المسلمين لاسيما أبناء المذهب الإمامي الإثني عشري، فضلاً عن المسلمين الموالين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن هذا لا يمنع من معرفة أقوال المصنفين من أبناء العامة الذين ترجموا للصحابة والرموز والشخصيات الإسلامية، وفي ذلك المقام فقد قالوا:

١ ـ قال ابن سعد (المتوفى ٢٣٠هـ):

(زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم، تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، فولدت له علياً وعوناً الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم)[1].

٢ ـ قال الحافظ ابن عساكر الأموي الدمشقي (المتوفى سنة ٥٧١هـ):

(امرأة جزلة كانت مع أخيها الحسين بن علي بن أبي طالب ــ عليهما السلام ـ حين قتل، وقد قدم بها على يزيد بن معاوية مع أهلها.

حدثت عن أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، وأسماء بنت عميس، ومولى للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم اسمه ذكوان.

روى عنها: محمد بن عمرو، وعطاء بن السائب، وبنت أخيها فاطمة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨، ص٤٦٥.

بنت الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ)[1].

٣ ـ قال الحافظ ابن الأثير الجزري (المتوفى سنة ٦٣٠هـ):

(زينب بنت علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم، أدركت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولدت في حياته، ولم تلد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته شيئاً وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جزلة، زوجها أبوها علي ـ عليهما السلام ـ من عبد الله ابن أخيه جعفر، فولدت له علياً، وعونا الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم.

وكانت مع أخيها الحسين ـ عليهما السلام ـ لما قتل وحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي مشهور مذكور في التواريخ وهو يدل على عقل وقوة جنان)[2].

والذي يهمنا في هذه الأقوال ويستفاد منه في البحث ما يلي:

١ ـ إنها كانت حاضرة في مأساة كربلاء وهو أمرٌ لا يقبل الشك أو الشبهة مما يستلزم تتبع دورها في الحدث.

٢ ـ إنها سبيت من بلد إلى بلد، وقد استعاض عنها الحفاظ بلفظ (حملت مع أهلها إلى يزيد) دون الدخول في بيان كيفية الحمل ولعلهم أرادوا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٨، ص١٦٦.

(٢) أسد الغابة: ج٥، ص٤٦٩؛ الإصابة لابن حجر: ج٨، ص١٦٦.

بذلك دفع النصوص القائلة في سبيها وإن كانت الكلمات لم تكشف عما جرى لها في هذه الرحلة.

٣ ـ إنها (جزلة، لبيبة، عاقلة) وقد جرى بينها وبين يزيد بن معاوية حوار، إلاّ أنهم لم يخوضوا في ذلك الحوار، ولعل الذي منعهم منهج الكتاب فقد خصص للترجمة ولم يكن سياقه التاريخي بالمعنى الحرفي للمنهج التاريخي.

وعلى أية حال فقد كان لها خطاب ديني حينما حملت من كربلاء ثم إلى الكوفة ثم إلى الشام؛ وإن هذا الخطاب كان في مدينتين مهمتين في العالم الإسلامي آنذاك وهما، الكوفة ودمشق، وقد حددت مقومات الإصلاح في البنية الفكرية لكل مجتمع من المجتمعين فكانت هذه المقومات كالآتي:

المسألة الثانية: مقومات الإصلاح للبنية الفكرية في خطابها الديني لمجتمع الكوفة

يشتمل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام على مجموعة من الأدوات التي تعمل على تقويم البنية الفكرية للمجتمع المسلم في الكوفة، هذه البنية التي تكونت بفعل المعطيات الثقافية والعقدية التي ضخها أرباب السلطة خلال نصف قرن، أي منذ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم عاشوراء فنتج عنها هذه الأفعال البشعة في أقدس المقدسات وهي حرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسفك دمه وفري لحمه وسبي عرضه.

ومن ثم:

فإن هذه البنية التي أفرزت هذه الجرائم والانتهاكات التي لا يعدلها شيء إلى يوم القيامة فإنها بحاجة إلى إعادة بناء أساسية تضمن ـ بنسبة ما ـ عدم وقوع مثل هذه الجرائم مع الحرمات والمقدسات النبوية؛ فضلاً عن المقدسات والقيم التي جاء بها الإسلام؛ فكانت هذه الأدوات كالآتي:

الأداة الأولى: الصدمة الثقافية (Inter cultural communication)

أولاً: تعريف مصطلح الصدمة الثقافية

الصدمة الثقافية: هي (إحدى (وسائل الاتصال الثقافي المتباين)، وهو تعبير يستعمل لوصف المخاوف والمشاعر (من المفاجأة، الحيرة، الفوضى) المحسوسة عندما يتعامل الناس ضمن ثقافة أو محيط اجتماعي مختلف تماماً، كالبلاد الأجنبية، وترتفع هذه الصعوبات في خلال استيعاب الثقافة الجديدة، مما يشكل صعوبات في معرفة الملائم، وفي أغلب الأحيان ترتبط هذه الثقافة بالاشمئزاز الكبير حول بعض صفات الثقافة الجديدة أو المختلفة)[١].

ويمكن أن نستنتج من هذا التعريف مفهوماً يدور حول تلقي الإنسان ثقافة جديدة تختلف عن ثقافته التي اكتسبها ونشأ عليها فيصطدم بهذه الثقافة الجديدة التي تولد لديه شعوراً نفسياً يتدرج بين المفاجأة ثم الحيرة ثم الفوضى وهو يحاول التأقلم مع هذه الثقافة الجديدة عليه؛ فإما التراجع والانكفاء والاعتزال عن الحياة فينزوي الإنسان مع ذلك الموروث الثقافي الذي تغلغل في

---

(١) Ejabat.google.com

فكره وأصبح مكوناً من مكوناته الشخصية وعنواناً لهويته الاجتماعية فضلاً عن عقيدته الدينية؛ وإما الخنوع والخضوع لهذه الثقافة الجديدة.

وهذه الحالة وإن كان الالتفات إليها من قبل العالم (كلفيرو أوبيرج kalcerro ober عام ١٩٥٤) نتيجة لما يعانيه المسافرون والمهاجرون من بلد إلى آخر يختلف بينه وبين البلد الأم المستوى الثقافي والحضاري والمعرفي والديني فضلاً عن العادات والتقاليد واللغة والتي جميعا تدخل ضمن المكون الثقافي للإنسان.

وتحديد هويته الاجتماعية إلا أننا هنا نجد أن (الصدمة الثقافية) كانت لها جذورها بالمفهوم والمصادق في المجتمع الإسلامي وخاصة في القرن الأول للهجرة النبوية، وهو ما سنتناوله في (ثانياً).

ثانياً: جذور الصدمة الثقافية تعود للقرن الأول للهجرة النبوية

منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عام الطف، أي بعد مرور خمسين سنة على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبحت (الصدمة الثقافية) بعد يوم عاشوراء واقعاً اجتماعياً وعقدياً لا يمكن الاستهانة به أو غض الطرف عنه أو تجاهله فقد شهد المجتمع الإسلامي ثقافة جديدة تختلف عن ثقافة القرآن والسنة النبوية المطهرة وإن الصحابة والتابعين وأبناءهم قد نشؤوا بعد أحداث السقيفة التي اجتمع فيها الأنصار وثلة من المهاجرين ليخرجوا بيعة أبي بكر على ثقافة جديدة تصطدم مع ثقافة القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إنها ثقافة

الشيخين واجتهاداتهم فضلاً عن ثقافة زوج النبي عائشة وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأبي هريرة وغيرهم حتى باتت تداعيات هذه الثقافة تظهر على المجتمع الإسلامي لاسيما ترددالها القوية على رأس السلطة ممثلة بخليفة المسلمين كما في حادثة دار الخلافة وقتل عثمان بن عفان ودفن جثته في مقابر اليهود في حش كوكب.

ولم تزل هذه الثقافة الجديدة تنمو وتتسع لتتخذ منحىً جديداً يكشف عن تجذر هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي واتخاذها طابع الانفعال الجماعي في حمل السيف والتقاتل فيما بينها كما في الجمل وصفين والنهروان لينتهي الأمر باستشهاد أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفة لتنتهك بذاك حرمات عديدة، حرمة الله، وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وحرمة المسجد، وحرمة شهر رمضان المبارك!!!

ومن ثم فقد أصبح المجتمع الإسلامي في عام (٣٩ للهجرة النبوية) يعيش على أسس فكرية وعقدية جديدة لا علاقة لها بالقرآن والسنة النبوية التي ثقّفت المسلمين على صون الحرمات واجتناب الحدود الإلهية وحفظ المقدسات والقيم الإسلامية.

حتى إذا استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان واستجابت له الأمصار

الإسلامية عمل جاهداً على التثاقف[١] طيلة عشر سنوات حتى هلك؛ تاركاً خلفه ثقافة جديدة في مختلف المدن الإسلامية حتى باتت هذه الثقافة هي الثقافة المسيطرة والغالبة على معظم المسلمين مما شكل لديهم ـــ وبفعل هذه الثقافة الأموية ــ عقيدة جديدة تتقرب إلى (الله) في قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

بل إنها لتفعل به من فنون القتل والإرهاب ما لم تفعله أمة من الأمم في آل رسولها ونبيها حتى أصبح آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم العدو، ولا المشركون والكفار والمنافقون كل ذلك بفعل التثاقف الأموي وشياع عقيدة آل أبي سفيان في المجتمع الإسلامي لاسيما الكوفة التي كانت عاصمة الخلافة في (٣٦ ـ ٤٠هـ).

وعليه:

كانت الأداة الأولى للعقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة هي الصدمة الثقافية، صدمة ثقافة القرآن والسنة بثقافة بني أمية، فماذا صنعت عليها السلام؟ هذا ما سنعرض له في الأداة الثانية.

---

(١) يشمل التثاقف التغيير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مستمر معهما مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معاً (علم خصائص الشعوب للجباوي: ص٣٩٢).

الأداة الثانية: استرعاء[(١)] الانتباه الجماهيري

إن أول عملٍ قامت به عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام هو استرعاء الانتباه الجماهيري في المجتمع الكوفي حينما دخل الركب المحمدي إلى أزقة الكوفة وقد سار بهم الجند نحو قصر الإمارة حيث جلس أمير السلطة الأموية على الكوفة آنذاك عبيد الله بن زياد.

إلا أن ثمة سؤالاً يفرضه البحث: ما الذي دفع الناس إلى التجمع في أزقة الكوفة؟ إنه سؤال فرضته الحالة الاجتماعية التي واكبت دخول الركب المحمدي والحسيني إلى الكوفة، فهناك من توجه إلى النساء المقيدات بالحبال والمسيّرات على الجمال بدون وقاءٍ أو ستر يسترهنّ من أشعة الشمس فقد بدينَ للناس وهن سافرات الوجوه وبدون محامل في أبشع صورة من صور الاستهانة والاستخفاف.

والإجابة من أوجه عدة:

١ ـ إن من السنن الإلهية أن يندفع الظالمون للقيام بأعمال إجرامية وهم يظنون أنهم بذلك يحققون الانتصار على إرادة الله تعالى وشريعته؛ في حين أننا نجد أن القرآن يعرض لهذا المنهج في بيانه لسنة إلهية وهي رد هذا المكر بحكمة ربانية وهو القائل:

---

(١) استرعى، يسترعي، استرع، استرعاء، فهو مسترعٍ، والمفعول مسترعى، استرعاه سره استودعه، استرعي الانتباه ـ استرعى النظر: استرعى الالتفات والاصغاء؛ استرعاه سمعه طلب منه أن يُصغي إليه؛ (معجم اللغة العربية المعاصر).

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1].

وقد ظن عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ أنه انتصر فأرسل برأس الإمام الحسين عليه السلام مبكراً لكي يدخل السرور على قلب عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ وشياع الخبر في الكوفة في حين كان هذا الأمر على قساوته وفظاعته قد حقق التهيئة النفسية والاجتماعية والإعلامية لقدوم العقيلة زينب والركب المحمدي الحسيني يتقدمهم الإمام زين العابدين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنات علي وفاطمة الصديقة سيدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين.

بمعنى:

أن إدخال الرأس المقدس لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكوفة قد دفع بالمجتمع الكوفي إلى التهيؤ والترقب لقدوم جيش الكوفة من أرض كربلاء؛ ومن ثم فالهدف في بادئ الأمر كان استعلام حال الجند ومعرفة ما آلت إليه المعركة.

٢ ـ إن الحالة المأساوية التي كان عليها بنات النبوة تدفع بالكثير من الناس الواقفين للتفرج ومعرفة هوية هؤلاء القادمين إلى الكوفة، وذلك أن الكوفة كانت قد أسست منذ البدء على أنها حاضنة عسكرية ومحطة للجند والمؤن والإمداد ولذا: فقد ضمت عشائر عربية وأعجمية وهم الحمران والديلم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

ومن ثم فإن قدوم الأسارى بيد الجيش الإسلامي إلى الكوفة يعدّ أمراً بديهياً لدى الناس إلا أن الحالة التي عليها هؤلاء النسوة كانت فظيعة ومؤلمة وغريبة مما دفع بعض النساء أو الرجال للسؤال عن هوية هذا الركب، ومن أي الأسارى هم.

٣ ـ لا شك أننا هنا نتحدث عن الركب المحمدي، نتحدث عن شجرة النبوة فهذه بقية الله تعالى وبضعة بنت رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا زين العابدين وهؤلاء بنات علي أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين؛ ومن ثم فقد امتاز أصحاب هذا الركب بالبهاء والنور المحمدي الذي كسا تلك الوجوه التي لم تستطع أشعة الشمس وجهد المصيبة وعناء الطريق وألم المصاب من حجب هذا النور المحمدي.

ولذا: بادرهم الناس بالسؤال:

(ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليهما السلام: «نحن سبايا آل محمد»)[١].

وهذه الحالة وإن كانت في الشام إلى أنها أحد الأسباب التي كانت تدفع الناس إلى السؤال.

وعليه:

كانت العقيلة زينب قد أعدت عدها لإحداث الصدمة الثقافية، ثقافة القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثقافة الجاهلية والتشيع

(١) قرب الإسناد للحميري: ص٢٦؛ الأمالي للصدوق: ص٢٣.

لرموزها وقادها آل أبي سفيان، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى: استرعاء الانتباه بجوابها الذي انتظره الناس الذين تقدمتهم تلك المرأة الكوفية التي أشرفت من على سطح دارها وهي تنظر على هذا الركب فقالت: من أي الأسارى أنتن؟

فكان الجواب كالصاعقة:

«نحن من أسارى آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ».

فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهنّ ملاء وأزرا ومقانع وأعطتهن فتغطين)[1].

أما لماذا قالت هذه المرأة الكوفية لبنات الرسالة الحمدية: (من أي الأسارى أنتنّ)، في حين كان سؤال المرأة الشامية ووصفها لهن بالسبايا، فكان الجواب:

هناك: (نحن سبايا آل محمد) وهنا في الكوفة: (نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو؟

إن الكوفة أعدت منذ تأسيسها حاضنة للجند ومقراً لهم، ومن ثم فإن أهلها كان جلهم من ذوي العسكر وأهاليهم ومن ثم كونها، أي الكوفة حاضنة للجند دعا إلى استقبالها لحركة العسكر وترقب تحركهم في اتجاه

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص٨٦؛ مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٦٦؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١٠٨؛ العوالم للبحراني: ص٣٧٧؛ لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ١٩٩.

الشرق وجلب من يؤسر من هذه المدن إلى الكوفة.

وعليه:

كان الجيش الكوفي حينما يخرج منها للقتال، ثم يعود فإنه يكون قد جلب معه مجموعة من الأسارى وهو الذي دعا هذه المرأة التي تسأل عن هوية هذا الركب، وذلك لأنها لاحظت سمات على أصحابه لم تكن قد لاحظتها من قبل؛ لكن هذه المرأة لما تلقّت تلك الصدمة الثقافية، فعرفت أن هؤلاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهلت، فاندفعت تجمع لهن المقانع بعد أن سلبهنّ الأعداء وجاءوا بهنّ سافرات الوجوه وهن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم!!

ولا شك أن جلبها للمقانع من النساء الكوفيات عمل على نشر الخبر بشكل سريع، فتلك النسوة اللاتي وقفن على سطوح دورهن ينظرْنَ إلى هذا الموكب الذي قدم الكوفة وقد تخلله العزف على الطنبور والبوق للإعلان عن عودة الجيش منتصراً عمل على نشر الخبر بين النساء الكوفيات ومن ثم إلى الرجال والأولاد فاندفع الجميع إلى الطرقات وهم يسيرون بجانب هذا الموكب المحمدي لينتظروا ما سيفعله عبيد الله بن زياد والي الكوفة.

ولأن الصدمة الثقافية كانت لها ارتداداتها النفسية والفكرية على أهل الكوفة، فقد اندفع الناس إلى التعامل بصورة تكشف عن التماس الاعتذار والإحسان لهذا الركب المحمدي فبادروا إلى جمع التمر والجوز وتقديمه للأطفال.

فكيف واجهت السيدة زينب عليها السلام هذه الاستجابة بعد استرعاء الانتباه إلى أنهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية[١]

إن من البداهة بمكان أن تكون العقيلة زينب عليها الصلاة والسلام على مستوى عال من الفهم والعلم والحكمة، وهي التي أعدها جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووالدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمها سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ ومن ثم أشرف على إعدادها وتهيئتها سبطا الرحمة وإماما الهدى الحسن والحسين عليهما السلام حتى قال في حقها الإمام زين العابدين عليه السلام:

«فأنتِ بحمد الله عالمة غيرمعلمة وفهمة غيرمفهمة»[٢].

---

(١) تعرف النافذة الانفعالية: بأنها القدرة أو المهارة التي تساعد على فهم سمات انفعالات الجماعة؛ تتضمن الأمثلة على سمات انفعالات الجماعة، مستوى تنوع الانفعالات بين أعضائها؛ (أي التنوع العاطفي) ونسبة المشاعر الايجابية أو السلبية، والمشاعر الشكلية (أي الأكثر شيوعاً) الحاضرة في الجماعة؛ عرف التعبير (النافذة الانفعالية) للمرة الأولى عالم النفس الاجتماعي (جيفري سانشيز بوكس والمنظّر التنظيمي كوي هوي) وكما في ضبط فتحة الكاميرا لزيادة عمق المجال، تتضمن النافذة الانفعالية ضبط عمق المجال الفرد للتركيز ليس فقط على انفعالات شخص واحد ولكن أيضاً على انفعالات الآخرين في المجال البصري؛ الفرق بين الانفعالات على مستوى الفرد في مقابل الانفعالات على مستوى الجماعة تعتمد على الفرق بين المنظور التحاملي والشمولي؛ (ويكيبديا ـ انفعال جماعي).

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣١؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١٦٤؛ العوالم للبحراني: ص٣٧٠؛ مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٣١٥.

ومن ثم فإن قدرها عليها السلام ومهارتها في فهم سمات انفعالات الجماعة، أي جماعة أهل الكوفة ومستوى تنوع هذه الانفعالات التي ابتدأت بجمع الأقنعة والأزر لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كي يسترْنَ بها وجوههنّ ثم تطور هذه الانفعالات وتنوعها من الاندفاع لستر النساء إلى نوع آخر موجه للأطفال؛ إذ تفيد الرواية التاريخية بأن أهل الكوفة أخذوا يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز، فصاحت العقيلة زينب: **((إنّ الصدقة علينا حرام))** ثم رمت به إلى الأرض(١).

وهذه المقولة وإن كانت تستند إلى حكم شرعي مرتبط بشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الذين حرم الله عليهم الصدقة؛ ومن ثم كان تكليفها الشرعي هنا منع تناول هذا الطعام الذي اكتسب عنوان الصدقة فأصبح حراما على أطفال الحسين عليه السلام وأحفاده.

فكان الأمر هنا موجها إلى بني هاشم خاصة كما أمر الله تعالى بذلك.

لكن هذا الأمر من ناحية علم الاجتماع النفسي، ومن أداة النافذة الانفعالية، فإن العقيلة زينب عليها السلام قد ضبطت عمق المجال الانفعالي

---

(١) البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١١٥؛ العوالم للشيخ عبد الله البحراني: ص٣٧٣؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٨٧؛ المجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص٣١٤؛ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج٧، ص١٣٨؛ مستدرك سفينة البحار للشاهرودي: ج٦، ص٢٤٧؛ مصابيح الظلام للوحيد البهبهاني: ج١٠، ص٤٩٦؛ مصباح الفقاهة للسيد أبي القاسم الخوئي: ج١، ص٨٠٢؛ مصباح الفقاهة في المعاملات للسيد الخوئي، تقرير بحث الخارج للسيد الخوئي المقرر الشيخ التوحيدي التبريزي: ص٧٩١.

ليس للفرد فقط وإنما لانفعالات الجماعة لما يترتب على هذا الفعل من آثار إيجابية نحو الهدف الأسمى وهو إصلاح البنية الفكرية؛ فهؤلاء الذين أكرمهم الله تعالى وشرفهم على الناس فحرم عليهم أوساخ أموالهم بما للصدقة من دلالات على الفقر والاحتياج إلى الغير، كيف لكم يا مسلمون من أن تتعرضوا لدمائهم وأموالهم.

بمعنى: تحريك المشاعر وشد الأذهان إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرجاعهم إلى الدين الحق وليس إلى الجاهلية التي أعادها آل أبي سفيان، ومن قبلهم أهل السقيفة.

وعليه: انعكس ذلك على المستوى العام لمجتمع الكوفة فأصبح أمر قيادتهم بما أراد له الإمام الحسين عليه السلام من مشروعه الإصلاحي لأمة جده بيد العقلية زينب عليها السلام فانتقلت بعد هذه الأداة، أي النافذة الانفعالية إلى أداة جديدة، وهي كالآتي:

الأداة الرابعة: المنظور التطوري النفسي(١)

وفقاً للنهج التطوري النفسي، تعمل عاطفة الجماعة على مساعدة التواصل بين أعضاء الجماعة وقد لوحظ هذا التطور النفسي من خلال

(١) وفقاً للنهج التطوري النفسي، تعمل عاطفة الجماعة على مساعدة التواصل بين أعضاء الجماعة؛ فتخبر الحالة العاطفية للجماعة أعضاءها عن عوامل في البيئة، فإذا كان الجميع في مجال سيئ مثلاً فمن الضروري تغيير الظروف أو ربما العمل بجهد أكبر لتحقيق الهدف وتحسين هذه الظروف، كما أن العاطفة المشتركة في الجماعات تنسق النشاط الجماعي عن طريق تعزيز روابط الجماعة وولائها؛ (الموسوعة الحرة ـ ويكيبيديا ـ انفعال جماعي).

التواصل بين أهل الكوفة في جمعهم للوقائع ومن ثم تقديم التمر والجوز والخبز للأطفال ليصل إلى مرحلة أعلى من التطور حينما سمعوا قول العقيلة زينب عليها السلام (إن الصدقة علينا حرام) فعندها عملت العاطفة على مساعدة التواصل بين أهل الكوفة إلى الاستجابة لإشارتها لهم بيدها وقد تجمعوا من حولها لينظروا ما تفعل ولعلهم لم يكونوا يتوقعون أنها ستخطب فيهم وقد قتل جيش الكوفة وخيل أهل الشام أخوتها وبنيها وأهل بيتها ونهبوا أموالهم وكأنهم من سبي أهل ملة أخرى.

ولذا:

ترشد الرواية التاريخية الكاشفة عن التطور النفسي للحالة العاطفية المشتركة لأهل الكوفة في انشدادهم للعقيلة زينب عليها السلام فقد اتخذت سمت القيادة لتلك الجماعة وذلك بفعل استثمارها للمزاج العام الذي حكم الحالة النفسية لأهل الكوفة وهو ما كشفت عنه الرواية الآتية التي رواها كلٌّ من:

١ ـ أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بـ(ابن الفقيه الهمذاني) (المتوفى سنة ٣٤٠هـ).

٢ ـ أبي الفضل بن أبي طاهر المعروف بـ(ابن أبي طيفور المتوفى سنة ٣٨٠هـ).

٣ ـ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ).

٤ ـ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ).

٥ ـ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨هـ).

٦ ـ محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعروف بـ(ابن حمدون المتوفى سنة ٥٦٢هـ).

٧ ـ الشيخ محمد باقر المجلسي (المتوفى سنة ١١١١هـ).

٨ ـ الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني (المتوفى سنة ١١٣٠هـ).

٩ ـ السيد محسن الأمين (المتوفى سنة ١٣٧١هـ).

والرواية أخرجها هؤلاء الحفاظ مسندة تارة، وبحذف السند فهي عند الهمذاني محذوفة السند وقد نسبها إلى (جرير بن ميسير) وعند ابن طيفور بسندين، الأول على (حذام الأسدي، وقيل: حذيم) والثاني عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام؛ وأخرجها الشيخ المفيد عن (حذلم بن ستير)[1]، فقال:

(قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة من كربلاء، ومنهم الأجساد محيطون بهم، وقد خرج

(١) وفي بعض النسخ (حذيم بن شريك) وعده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام؛ وفي البحار في حادثة نزول أهل البيت عليهم السلام قرب المدينة (بشير بن حذلم).

الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدبن، فسمعت علي بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة، وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه:

«ألا إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟».

قال:

ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات)[1].

وهذه الفقرة الأخيرة من الرواية هي محل البحث ـ هنا ــ أي: التطور النفسي للحالة العاطفية لجماعة أهل الكوفة حينما أومأت العقيلة زينب عليها السلام بيدها إلى أهل الكوفة: أن اسكتوا فما كان من الحالة النفسية لديهم إلا الاستجابة السريعة لهذه الإشارة إلى الدرجة التي وصفت فيها الرواية الحالة النفسية لأهل الكوفة بألفاظ متعددة ومتقاربة، وهي:

١ ـ (فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات)[2].

٢ ـ (فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس)[3].

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٢١؛ الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٩؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١٦٣.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص١٦٣.

(٣) البلدان للهمذاني: ص٢٢٤.

٣ ـ (فلما سكنت الأنفاس وهدأت الأجراس)[1].

٤ ـ (فلما سكنت فورتهم وهدأت الأجراس)[2].

وهذه الألفاظ ترشد إلى صفة واحدة: وهي التطور النفسي لجماعة أهل الكوفة وإعمال الحالة العاطفية على سيادة الاستجابة لإشارة يد العقيلة زينب عليها السلام بالسكوت مما مكنها من استثمار هذه الحالة النفسية المتأججة بالعواطف والعاملة في التواصل بين أهل الكوفة إلى الحد الذي سرى هذا التأثير في أنهم أمسكوا بأعناق دوابهم، وخيلهم، وإبلهم كي لا تحرك رؤوسها؛ وذلك أنهم كانوا يضعون أجراساً في أعناق الخيل والدواب لغرض إحداث مؤثرات صوتية تحدثها هذه الأجراس عند حركة الخيل أو الدواب لاسيما في الحرب أو عند رجوع الجيش من المعارك وهم يسوقون الأسارى.

ومن هنا:

تكشف الرواية عن بلوغ الحالة العاطفية والنفسية ذروتها للانقياد إلى العقيلة زينب عليها السلام؛ ومن ثم كان خطابها كالمطرقة على الحديد المتجمر في تغيير البنية الفكرية لمجتمع أهل الكوفة.

فقالت عليها السلام:

(أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل[3] والغدر، والخذل!! ألا فلا رقأت

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٤.

(٢) التذكرة الحمدونية: ج٦، ص٢٦٥.

(٣) الختل: الخداع.

العبرة[1] ولا هدأت الزفرة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا[2]، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم[3]، هل فيكم إلا الصلف[4] والعجب، والشنف[5] والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء[6]، أو كمرعى على دمنة[7]، أو كفضة على ملحودة[8]، ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيرا، واضحكوا قليلا، فقد أبليتم بعارها، ومنيتم بشنارها[9]، (٨) ولن ترحضوا أبدا[10]، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم ومقر سلمكم، وأسى كلمكم[11]، ومفزع نازلتكم

---

(١) رقأت: جفت.

(٢) أي: حلته وأفسدته بعد إبرام.

(٣) أي: خيانة وخديعة.

(٤) الصلف: الذي يمتدح بما ليس عنده.

(٥) الشنف: البغض بغير حق.

(٦) الغمز: الطعن والعيب.

(٧) الدمنة: المزبلة.

(٨) الفضة: الجص؛ والملحودة: القبر.

(٩) الشنار: العار.

(١٠) أي: لن تغسلوها.

(١١) أي: دواء جرحكم.

والمرجع إليه عند مقاتلتكم ومدرة حججكم[١]، ومنار محجتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعسا تعسا! ونكسا نكسا! لقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم؟! وأي عهد نكثتم؟! وأي كريمة له أبرزتم؟! وأي حرمة له هتكتم؟! وأي دم له سفكتم؟! لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا! لقد جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء خرقاء[٢] كطلاع الأرض، أو ملأ السماء[٣] أفعجبتم أن تمطر السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار[٤]، ولا يخشى عليه فوت الثار، كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد)، ثم أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

---

(١) المدرة: زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

(٢) الشوهاء: القبيحة؛ والفقهاء إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج فلا تقع على السفلى؛ والخرقاء: الحمقاء.

(٣) طلاع الأرض: ملؤها.

(٤) يحفزه: يدفعه.

ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم — أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

إني لأخشى عليكم أن يحل بكم — مثل العذاب الذي أودى على أرم

ثم ولت عنهم.

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إلي شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم — إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

فقال علي بن الحسين عليه السلام:

«يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر».

فسكتت)[1].

وهذه الخطبة اشتملت على مجموعة جديدة من الأدوات لتغيير البنية الفكرية وإصلاح المعطيات الثقافية التي أسهمت في بناء الإنسان المسلم بعد

---

(١) البلدان للهمذاني: ص٢٢٤؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٤؛ الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٢٢؛ الأمالي للطوسي: ص٩؛ الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٩؛ التذكرة الحمدونية لابن حمدون: ج٦، ص٢٦٥؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١٦٥؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص٣٦٩؛ تاريخ الكوفة للبراقي: ص٢٩٤؛ أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٨٤.

حالة الإفساد والتردي التي تعرض لها المجتمع فانعكست سلباً على سلوكه الفردي والاجتماعي.

وعليه:

فنحن أمام جملة جديدة من هذه الأدوات الإصلاحية للمجتمع المسلم والتي كانت تبعاً لتلك الأدوات التي مرّ ذكرها آنفاً فكانت بمثابة الأساس الذي يقام عليه صرح الإصلاح الذي خرج من أجله الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأكملته العقيلة زينب عليها السلام، فكانت هذه الأدوات كالآتي:

الأداة الخامسة: بث الروح في الضمير الجمعي

(الضمير الجمعي أو الوعي الجماعي هو مصطلح في علم النفس ابتكر من قبل عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (١٨٥٨ ــ ١٩١٧) ليشير إلى المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة والتي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع ومن الممكن أن يعزى الضمير الجمعي كترجمة أفضل لفكرة دوركايم وذلك يكون جزئياً بسبب ارتباط كلمة (الضمير) مع كل من الفكرة الماركسية، والفرويدية ولكن أيضاً أن الضمير بالنسبة لدوركايم بشكل تمهيدي بارز هو جهاز مكون من الوجدان والتصوير وأنه ليس الجهاز العقلي وهو المفهوم الذي تتضمنه كلمة الوعي أو الضمير.

وقد استخدم دوركايم في كتبه (تقسيم العمل في المجمع ــ ١٨٩٣م)،

و(قواعد الطريقة السوسيولوجية ـ ١٨٩٥م)، (والانتحار ـ ١٨٩٧م)، إضافة إلى (النماذج الابتدائية من الحياة الدينية ــ ١٩١٢م) وقد ناقش دوركايم في كتابه تقسيم العمل بأنه في المجتمعات التقليدية البدائية (تلك القائمة على العائلة والعشيرة أو العلاقات القبلية) يلعب الدين الطوطومي دوراً هاماً في توحيد الأفراد من خلال خلق ضمير مشترك.

((conscience collective) في الفرنسية الأصلية) ويكون محتوى الضمير الشخصي في مثل هذا النوع من المجتمعات مشتركاً بشكل كبير مع جميع الأفراد في نفس المجتمع وهذا يخلق تضامناً إجتماعياً من خلال الشبه المتبادل)[1].

وهذه التعاريف للضمير الجمعي نجدها متجسدة في المجتمع الإسلامي في الكوفة آنذاك فقد أصبح الضمير الشخصي للمسلم عام (٦١هـ) مشتركاً بشكل كبير مع جميع الأفراد في نفس المجتمع وهو ما أشارت إليه العقيلة زينب عليها السلام في بيانها لصفات المجتمع فقالت:

(يا أهل الختل والغدر....) والتي سنمر عليها بمزيد من التحليل فهذه الصفات الكاشفة عن الضمير الشخصي للمسلم في مجتمع الكوفة آنذاك والتي أصبحت مشتركة بشكل كبير فيما بين الأفراد قد خلقت تضامناً اجتماعياً من خلال التشابه المتبادل كما أشار دوركايم.

والذي يظهر هذا التضامن الاجتماعي بشكل جلي وعملي في

(١) ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة ـ الضمير الجمعي.

خروجهم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام بل ظهر هذا التضامن في ارض كربلاء في اجتماعهم على إنزال أعلى درجات الأذى والضرر في آل رسول الله صلى الله وآله وسلم وكأنهم أبناء ملة أخرى وعقيدة معادية تضامن منتحلوها في قتالهم على أرض كربلاء.

ولذا:

احتاجت العقيلة زينب عليها السلام في معالجتها وإصلاحها للبنية الفكرية للمجتمع المسلم الابتداء ببث الروح في الضمير الشخصي ليسري ذاك إلى الضمير الجمعي للمسلمين، الذي احتضنتهم أرض الكوفة من القبائل العربية وقد خرجوا متضامنين إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وهي الأزد وزعيمها في الكوفة عبد الله بن زهير بن سليم، وهم أهل المدينة المنورة وعشيرة مذحج وأسد ورئيسها عبد الرحمن بن أبي ميسرة الحنفي، وعشيرة ربيعة وكندة وكان رئيسها قيس بن الأشعث، وتميم وهمدان ورئيسها الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه وجميعهم اشتركوا في حرب الحسين عليه السلام إلا الحر الرياحي فضلاً عن تجمع خيل أهل الشام ومجاميع الحمران وهم أهل فارس الذين جيء بهم إلى أرض الكوفة عند فتح أرض فارس في معركة القادسية.

ومن ثم فنحن أمام تركيبة اجتماعية متنوعة من حيث الأعراق والعادات والثقافات النشئوية وتسودها جميعاً شريعة واحدة وأن هذه التركيبة المكونة للنسيج الاجتماعي الكوفي قد سادها ضمير جمعي واحد جعل منها

أمة تمارس جميع أنواع الظلم والقهر؛ بل إن النظر إلى مجريات عاشوراء يلزم الناظر بأنه أمام مجتمع قد مات فيه الضمير الإنساني، فالرؤوس يطاف بها في أزقة الكوفة، وقد اختلفت فيها الأعمار فمنها من ابيضت لحيته ورأسه، ومنها من كان شاباً، ومنها من كان صبياً، ومنها من كان رضيعاً، ومنها من كان عبداً موالياً لا حول له ولا قوة إلا الانقياد لسيده ومولاه.

فضلاً عن أن الناس وقفت تنظر إلى تلك الرؤوس التي تقاسمتها القبائل العربية لتتقرّب بها إلى والي الكوفة عبيد الله بن زياد فقد جاءت كندة بثلاثة عشر، وصاحبهم قيس بن الأشعث ـ لعنه الله ـ وجاءت هوازن باثني عشر، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن؛ وجاءت تميم بسبعة، وبنو أسد بستة عشر، ومذحج بسبعة، وجاء آخرون بباقي الرؤوس.

وهذه جميعاً كانت تسيّر بين النساء والأطفال وهم ينظرون إلى آبائهم وأهاليهم ويساقون بالسياط حينما يأخذهم النظر إلى تلك الرؤوس فلا يستطيعون من عظم المصيبة النظر إلى أقدامهم أين يضعونها فيعثرون فيه سيرهم.

وعليه:

فقد بات الضمير الجمعي لهذا المجتمع الإسلامي على سمة واحدة فما من منكر ولا من معترض، ولأنهم على ملة الإسلام ورسولهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لزم إحياء الضمير الفطري حينما يعاد هذا الضمير إلى ثوابته النشئوية والدينية.

ولذا:

ابتدأت كلامها بعد أن أومأت إلى الناس بالسكوت فهدأت الأنفاس وسكنت الأجراس، قالت:

(الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار).

وهذا الابتداء في الكلام له سماته الإصلاحية في هدم الضمير الجمعي كي يستجيب لما سيأتي من أدوات ومعالجات تعيد النبض إلى ضمير الأمة بعد أن توقف عن الحركة.

ولكن ماذا أرادت العقيلة زينب بهذا القول الذي صدمت به الضمير الجمعي للمجتمع؟ وجوابه فيما يلي:

أولاً: تحريك نبض التوحيد

(الحمد لله) كلمة لها دلالاتها وتأثيرها في تحريك الضمير في الأمة المسلمة وهي:

ألف: إنها حينما ابتدأت بالحمد ليس لأنها اعتادت على ذلك ولكن لبيان أنها وإياهم على ملة واحدة وهي الإسلام ومن ثم متى أباح الإسلام هتك ستر المرأة المسلمة وسبيها لاسيما وقد أسلفنا أن الكوفة قد تنوع فيها النسيج الاجتماعي العرقي ولعل فيهم من كان جاهلاً لدين هؤلاء السبايا أو الأسارى.

باء: الحمد لله على ما ابتلاها به من المصائب فهو وحده الذي لا يحمد

على مكروه سواه؛ فضلاً عن التسليم لأمره والصبر على قضائه.

جيم: أنها ابتدأت بالتوحيد وختمت خطابتها بالتوحيد، كما سيمر بيانه لاحقاً وهذا يكشف عن أنها من أهل بيت التوحيد والدعاة إليه، فضلاً عن تأثير هذه المقامات في إحياء الضمير الجمعي والفردي للمسلم.

ثانياً: بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى بيد المسلمين

(والصلاة على أبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

هنا تختار العقيلة زينب عليها السلام في صلاتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على بنوتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لبيان أن هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي تدعون الإيمان برسالته فعرفتم بين الناس بأنكم مسلمون، هو (أبي).

فكيف لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقدم على سبي بنت نبيه ويسلبها مقنعتها ويكشف رأسها ويضربها بالسياط ويقتل أخوها وأولادها ويقيدها بالحبال ويقودها من بلد إلى بلد وهي على تلك الحالة.

فأي إسلام هذا الذي يدعون الإيمان به وحال أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الصفة التي تناقلتها كتب التاريخ، ومن ثم فإنها أرادت بهذه البنوة إحياء الضمير الجمعي للمسلمين فهؤلاء الذين أقدمتم على قتلهم، هم أنفسهم من تصلون عليهم في صلاتكم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأي سبات هذا للضمير الإسلامي؟!

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار

بعد بيانها عليها السلام لبنوتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها أبنة من تدعون الانتساب لدينه تنتقل العقيلة زينب في إحياء الضمير الجمعي للمجتمع الإسلامي إلى أنها من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن من صفاتهم الطيب والخير، أي: إنها اختارت من صفات الآل هاتين الصفتين لبيان أن من يستحق العقاب والقصاص والنكران هم المفسدون الخبيثون الأشرار أما من كانت صفتهم الطيب والخير فلا يجازون بهذا الصنيع.

وعليه:

فأنتم يا مسلمون تقتلون الطيبين الأخيار وتتولّون الخبيثين الأشرار وهذا خلاف الفطرة والضمير الإنساني.

إذن:

إعادة للضمير الجمعي شحنته الصاعقة كي يستجيب هذا الضمير لما ستتكلم به من نور يخطف الأبصار ويزيل الخبث عن تلك العقول التي دنسها جهل بني أمية وعقيدتهم المرتكزة على حرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصبح واقعاً اجتماعياً تسوده تلك الأفكار وثقافة البغض والعداء والقتل والدمار.

ومن ثم استطاعت بهذه الكلمات التي سبقها ما عليه من حال الأسر أن نعيد النبض إلى الضمير الإسلامي فأصبح الضمير الجمعي لهم إسلامياً بعد أن كان أموياً؛ ولذا: تنتقل في إصلاحها للبنية الفكرية إلى الأداة السادسة.

الأداة السادسة: التعزير النفسي

أولاً: التعزير لغة

قال ابن فارس في بيان معنى التعزير:

(عزر) العين والزاء والراء كلمتان إحداهما التعظيم والنصر والكلمة الأخرى جنس من الضرب فالأولى النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿ ...وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ... ﴾[1].

والأصل الآخر التعزير وهو الضرب دون الحد.

قال:

وليس بتعزير الأمير خزاية　　　علي إذا ما كنت غير مريب[2]

وقال ابن منظور:

إن العزر في اللغة الرد والمنع، وتأويل عزرت فلاناً أي أدبته إنما تأويله فعلت به ما يردعه عن القبيح[3].

ثانياً: التعزير عند الفقهاء

قال أبو الصلاح الحلبي الأمالي رحمه الله (المتوفى سنة ٤٤٧هـ):

(التعزير: تأديب تعبداً لله سبحانه به لردع المعزر وغيره من المكلفين،

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٤، ص٣١١.

(٣) لسان العرب لابن منظور: ج٤، ص٥٦٢.

وهو مستحق للإخلال بكل واجب وإيثار كل قبيح لم يرد الشرع بتوظيف الحد عليه، وحكمه يلزم بإقرار مرتين أو شهادة عدلين)[١].

وقال علي بن محمد القمي رحمه الله (المتوفى في القرن السابع للهجرة) في فصل التعزيرات:

(واعلم أن التعزير يجب بفعل القبيح أو الإخلال بالواجب الذي لم يرد للشرع بتوظيف حد عليه أو ورد بذلك فيه ولم يتكامل شروط إقامته فيعزر على مقدمات الزنا واللواط من النوم في إزار واحد والضم والتقبيل إلى غير ذلك)[٢].

وقال السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله في التعزير وما يثبت به موجبه:

(من فعل محرما أو ترك واجباً إلهياً عالماً عامداً عزره الحاكم حسب ما يراه من المصلحة، ويثبت موجب التعزير بشهادة شاهدين وبالإقرار)[٣].

وهذا البيان اللغوي والفقهي هما مقدمة لبيان مصطلح (التعزير النفسي) الذي استل من فعل العقيلة زينب عليها السلام في عملية الإصلاح للبنية الفكرية للمسلم.

فهذه الجماعة التي اشتركت في ارتكاب تلك الجرائم في يوم عاشوراء بأمس الحاجة إلى التأديب والتعزير كي تمتنع هذه النفس من العودة إلى فعل

(١) الكافي في الفقه لأبي الصلاح الحلبي: ص٤١٦.

(٢) جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق لعلي بن محمد القمي: ص٥٩٧.

(٣) مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي: ج١، ص٣٣٧.

القبيح وأي قبح أعظم من قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلبه وسبي بناته وأخواته.

فهذه الأفعال الإجرامية التي امتزجت بها النفوس لابد لها من موانع عديدة كي تستعيد رشدها من ناحية، ومن ناحية أعظم منع تفشي هذه الأمراض النفسية في المجتمعات الإسلامية الأخرى أو الأجيال القادمة حينما لم تجد من يعزرها ويمنعها وينكر عليها هذه الأفعال.

ولذا:

نجدها عليها الصلاة والسلام أول ما ابتدأت كلامها الموجه إلى أهل الكوفة بعد أن عنتهم بقولها: (أما بعد يا أهل الكوفة) بالتعزير النفسي الموجع مع كون الخطبة كلها كانت بطابع التعزير النفسي إلا أن الناس حينما تجتمع لأمر مهم لاسيما في هذه الحالة فإنها مشدودة إلى الكلمات الأولى، فقالت:

(يا أهل الختل والخدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف[1] النطف[2]، والعجب والكذب والشنف[3]، وملق الإماء، وغمز الأعداء

(١) الصلف، بفتح اللام مصدر بمعنى التملق، وبكسرها: الذي يكثر مدح نفسه ولا خير عنده.

(٢) النطف: بفتح الطاء: التلطخ بالريب والعار، وبكسرها بمعنى النجس.

(٣) والشنف بفتح العدواة والبغض، وبكسرها المبغض.

كمرعى على دمنة، أو كقصة على ملحودة، ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون).

والعقيلة زينب عليها السلام في تعزيرها النفسي لأهل الكوفة أشارت إلى مجموعة من الأخلاق السيئة التي انتحلها هؤلاء فأصبحت أخلاقاً عامة يتصف بها المجتمع وذلك لوجود التشابه الكبير فيما بين أبناء المجتمع وهو ما أشرنا إليه سابقاً في الضمير الجمعي.

إلا أنها عليها السلام أرادت مع هذا التعزير النفسي بيان تلك الصفات التي اتصف بها أهل الكوفة للتأكيد على أمرين:

١ ـ إن هذه الأخلاق لو سرت في أي مجتمع من المجتمعات فإنها ستقدم على ممارسات وأفعال أهل الكوفة وستثمر هذه الصفات خبثاً كما أثمرت أخلاق هذه الجماعة وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام أبو عبد الله عليه السلام حينما خاطبهم في يوم عاشوراء فقال عليه السلام:

«فكنتم أخبث ثمرة، شجر للناظر وأكلة للغاصب»[1].

ومن ثم يبدأ الإصلاح من خلال التخلص من هذه الأخلاق الذميمة والصفات الرذيلة وهو ما حددته عليها السلام في تعزيرها النفسي لهم وذلك من خلال بيان انقسام هذه الرذائل الأخلاقية إلى صنفين، منها فردية، ومنها اجتماعية، وإن الإصلاح يبدأ بتغير الأخلاق الفردية أولاً، وهذا ما سنعرض له في الأداة السابعة.

---

(١) تحف العقول للبحراني: ص٢٤١؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص٢١٩.

الأداة السابعة: تشخيص الرذائل التي أصابت أهل الكوفة إلى أخلاق فردية واجتماعية وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع

لقد قامت العقيلة زينب عليها السلام في عملية إصلاح البنية الفكرية بتشخيص الأخلاق الرذيلة التي أصابت أهل الكوفة فكانت هذه الأخلاق فردية وأخرى اجتماعية، فالأخلاق الفردية حددتها عليها السلام بما يلي والذي ابتدأته بقولها: **(ألا وهل فيكم إلا:**

١. الصلف.

٢. النطف.

٣. العجب.

٤. الكذب.

٥. الشنف.

٦. ملق الإماء.

٧. غمز الأعداء.

وإن هذه الأخلاق الفردية حينما تكون ضمن أبناء المجتمع فإن هذا المجتمع ستكون أخلاقه العامة وصفاته المشهورة التي يعرف بها هي تلك التي ابتدأت خطابها بها فقالت:

(أما بعد: يا أهل الكوفة:

١. يا أهل الختل[١]**.**

٢. الخذل[٢]**.**

٣. الغدر[٣]**.**

٤. والمكر[٤]**.**

وهذه الأخلاق حينما تجتمع تجعل صورة المجتمع وحقيقته بالهيئة التي مثلتها لهم العقيلة زينب عليها السلام بمعنى يصبح المجتمع عند تفشي هذه الأمراض الأخلاقية كـ:

١. **(مرعى على دمنة)**؛ أي كالماشية التي تعيش على المزبلة، ومن ثم كيف سيحيا الجيل الجديد من الأبناء والأحفاد في هذا المجتمع.

٢. **(قصة على ملحودة)**: أي يصبح المجتمع كالقبر فظاهره مزين بالجص وداخله لحد يضم بدن الميت وما يجري فيه من تحلل وتفسخ لهذا البدن؛ ومن ثم فإن هذا المجتمع ستموت قيمه حاله في ذاك حال القبر.

وعليه:

فإن هذه الصفات الأخلاقية التي ذكرتها العقيلة زينب عليها السلام والتي أصابت المسلمين في المجتمع الكوفي آنذاك أدت به إلى هذه الحالة المأساوية

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٦٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٠.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٦١.

وإن على القادة والمصلحين والتربويين والمبلغين الالتفات إلى إصلاح أخلاق الفرد فبه يصلح المجتمع وإن الإنسان حينما يغفل عن إصلاح نفسه ويسعى في تغيير أخلاقه سيقع فيما وقع فيه أهل الكوفة، وذلك أنه لن يستطيع أن يردع نفسه من التضامن مع هذه الجماعة أو تلك وهي تشابهه في الأخلاق والصفات وأنه سيقع فيما سيقعون فيه من أعمال إجرامية كما وقع جماعة المسلمين آنذاك بفعل هذه الأخلاق والصفات الرذيلة.

فكانت النتيجة كما بينت لهم عقيلة بني هاشم بقولها:

(أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون).

الأداة الثامنة: تجمير المشاعر واصدام النفوس

بعد عرضها عليها السلام لأصناف الأخلاق التي جعلت من المجتمع الإسلامي في الكوفة بهذا المستوى المتردي وشعورهم بالندم الشديد والخسارة الفادحة لما كسبته أيديهم من ظلم لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم يجدوا عند ذلك غير البكاء والدموع وهي حالة انفعالية لا يمتلك الإنسان ــ غالباً ــ كتمانها.

ولقد أشار النص التاريخي إلى هذه الحالة الانفعالية الجماعية لدى أهل الكوفة وهو ما تناولته العقيلة في خطابها إليهم بعد أن قامت بالتعزير النفسي وتشخيص الأخلاق الرذيلة الفردية منها والجماعية.

فقالت عليها السلام:

(أتبكون؟ أي والله، فابكوا كثيراً، وأضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً...).

وهذا المقطع من خطابها يكشف عن حالة التفاعل مع كلماتها وتأثرهم بها إلى درجة البكاء مما يعني نجاح خطابها في تغلغله في نفوسهم مما دفعهم إلى البكاء ومن ثم تنتقل في إصلاحها لهذه النفوس إلى تجمير المشاعر كي تستقبل الطَّرْق الذي يكسر صدأ القلوب فيجلوها ولا شك أن هذا النهج لا يعالج أهل الحدث فقط وإنما على مر الوقت لمن أراد أن ينجو بنفسه من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكوفة.

ولذا:

فقد أقدموا على فعل هو عار عليهم على مرّ الدهر، ولن يمحوه شيء، أو يطهره شيء، وذلك أن الإقدام على قتل آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عار يلحق الفاعل على كرور الليالي والأيام فضلاً عن عذاب الله الشديد.

ومن ثم:

كي لا يقع غيرهم من المسلمين فيما وقع فيه أهل الكوفة في يوم عاشوراء كان خطابها الإصلاحي للأمة بهذه الأدوات التي غيرت من البنية الفكرية لديهم حينما أقدموا على هذا الفعل مما يعني تحصين الأبناء والأجيال القادمة من هذه الأفكار المريضة والهدامة.

ولعل الوقوف اليوم لدراسة الحركات التكفيرية والإرهابية ليغني الباحث

والقارئ اللبيب عن البحث عن الشواهد والعوامل التي جعلت أهل الكوفة يقدمون على فعلتهم؛ فهذا النهج الذي ظهر في عاشوراء لقتال الحسين وأهل بيته عليهم السلام أينما تجدد زماناً ومكاناً سيثمر نفس هذه النتائج التي لحقت بالمجتمع الكوفي آنذاك.

ومن هنا:

كان حرص العقيلة زينب عليها السلام في خطابها الديني لتغير البنية الفكرية للمسلم هو تجنيب الأمة من الويلات التي ستلحق بها كما لحقت بآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دولة بني أمية وأشياعهم.

الأداة التاسعة: تعظيم حرمة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

لعل من أهم الأدوات التي صدعت المجتمع الإسلامي بعد مرور خمسين سنة على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو التأسيس لانتهاك حرمة أهل البيت عليهم السلام حينما تم جمع الحطب عند باب فاطمة عليها السلام وفي الدار ولداها الحسن والحسين وبعلها علي بن أبي طالب عليهم السلام وإضرام النار فيه ومن ثم الهجوم على الدار لقتل من فيه وقد شاء الله تعالى غير ذلك فأنجى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

إلا أن هذا الفعل أسس لهتك حرمة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) للمزيد من الاطلاع، ينظر: باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة للمؤلف.

وأعطى الذريعة لكثير من أصحاب القلوب المريضة والتي خالط النفاق أبدانهم في التعرض لانتهاك حرمة آل البيت عليهم السلام؛ وما عاشوراء إلا صورة من صور الهجوم على دار علي وفاطمة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

انعطفت العقيلة زينب عليها السلام على بيان حرمة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لو كانت هذه الحرمة معظمة لدى المسلمين ومصانة بما أمر الله به لما تجرأ هؤلاء على الله تعالى في انتهاكها وتعدي حدوده فيها.

ولقد ابتدأت العقيلة زينب عليها السلام ببيان حرمة سيد الشهداء عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنه صاحب الظلامة والمخصوص بهذا الحدث الذي تلطخت أياديهم بدمه؛ وهذا أوجع للقلوب وأمضى ألماً للنفوس فيما تستشعر عظم جريمتها وما كسبت يداها.

فقالت:

(وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وأسى كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدر حججكم، ومنار محجتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم).

وقد جمعت سلام الله عليها هذه الصفات في الإمام الحسين عليه السلام بين مقام النبوة ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين صفات الإمامة ومفاصل دورها وعلاقتها بالناس جميعاً، فقالت عليها السلام:

١. وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة.

٢. ومعدن الرسالة.

٣. وسيد شباب أهل الجنة.

وهذه الصفات الثلاثة هي تخص النبوة والرسالة بالمعنى العام، وذلك أن ميراث النبوة من آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قالت:

(سليل خاتم النبوة)، و**(معدن الرسالة)**، ولم تقل النبي أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنما النبوة، والرسالة، وبذاك أرادت ما ينضوي تحت هذه الصفة من منزلة وشأنية وشرائع وكتب وصحائف وعلوم وغير ذلك مما ارتبط بالنبوة والرسالة فكان بهذا الميراث النبوي والرسالي سيد شباب أهل الجنة فهو سليل النبوة ومعدن الرسالة.

ثم تنتقل عليها الصلاة والسلام إلى صفات الإمامة وما يناط بالإمام ودوره في حفظ البلاد والعباد من كل سوء وضلال، فقالت عليها السلام:

١. وملاذ حربكم.

٢. ومعاذ حزبكم.

٣. ومقر سلمكم.

٤. وأسى كلمكم.

٥. ومفزع نازلتكم.

٦. والمرجع إليه عند مقاتلتكم.

٧. ومدرة حججكم.

٨. ومنار محجتكم.

وهذه الصفات هي ثمار وجود الإمام المعصوم عليه السلام على الناس، فمن تخلى عنه إنما يتخلى عن هذه الرحمة الإلهية وما يضر إلا نفسه:

﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾[1].

وعليه:

فقد سعت في عملية الإصلاح للبنية الفكرية لدى المجتمع الإسلامي في الإمامة بإرجاعها إلى المقام الإلهي أولاً، ومقام النبوة ثانياً، ومن ثم الانتقال إلى بيان أن مشروع الإمامة هو الذي اختاره الله وأمر به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما مشروع الصحابة الذي اختاره أهل السقيفة في يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي دأب السلف ـــ ممن تصدوا للجلوس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ على تقديمه كمشروع بديل عن الإمامة ومنحه بعض صفات الإمامة والتي تم حصرها في الفتيا وإحداث البدع ضمن قاعدة الاجتهاد فمن أخطأ فله أجر واحد كما مر بيانه سابقاً، فهذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

المشروع هو الذي جر الويلات على الأمة وهو الذي قادها إلى الهاوية.

ولذلك:

بينت عليها السلام أن الإمام يمثل المرحلة النهائية من الرحمة الإلهية التي ابتدأها الله عز وجل في عباده حينما خاطب الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) فالغاية في هذا الجعل رحمة العباد والبلاد، والتي جمعت في المصطفى خاتم النبوة والرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، فقال سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٢).

فكانت الإمامة هي المرحلة النهائية من هذه الرحمة الإلهية التي ابتدأت بجعل الخليفة في الحوار الإلهي مع الملائكة، وخلق آدم ونزوله على الأرض، ثم انتقال هذه الرحمة من نبي إلى نبي ومن رسول إلى رسول، حتى ختمت بمنزلة الإمامة.

فكان من ثمارها أي الإمامة ما ذكرته العقيلة زينب عليها السلام وهي تريد بذاك إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم الذي ثقفه أرباب السلطة على مشروع الصحبة كي يعطوا مجوزاً لدى الناس يستدرون به عواطفهم الإيمانية وحبهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أخذ المسلم يقدس الصحابي أكثر مما يقدس نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يشعر فيقبل المعيب على نبيه ولا يقبله على خليفة المسلمين والشواهد على ذلك كثيرة لا يسعنا إيرادها ولعل الرجوع إلى أحاديث البخاري وغيره في تبول النبي صلى

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

الله عليه وآله وسلم واقفاً، أو حمله زوجته عائشة على ظهره لترى رقصة الأفارقة، أو دخول عمر بن الخطاب عليه وعنده نساء يضربن بالدف فلما رأين عمر بن الخطاب هربن واستنكاره لهذه الحالة لأنه وجد طنبوراً ودفاً يضرب في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وتبسمه وقوله لقد هرب الشيطان عندما رأى عمر؛ أو استماع عائشة إلى جاريتين تغنيان واستنكار أبي بكر لفعلها وتجويز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ والعياذ بالله ـ ذلك فيكون القينات، أي المغنيات في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وغير ذلك من الترهات التي أريد منها تقديم مشروع بديل عن الإمامة وصفاتها كي يستسيغ الناس المخالفات التي تصدر من بعض الصحابة وتحت غطاء شرعي.

إذن:

ذكرها عليها السلام لهذه الصفات المتعلقة بشخص الإمام الحسين عليه السلام لكونه إماماً منصوصاً عليه من الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام؛ يدل على أن الإمامة هي الوجه الحقيقي للإسلام وليست مشروع الخلافة الذي جاء بوحي السقيفة لا بوحي من الله تعالى ولا رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب: سنة العيدين: ج٢، ص٢١.

الأداة العاشرة: إظهار عقوبة قتل العترة النبوية في الدنيا والآخرة

بعد بيانها عليها الصلاة والسلام لمشروع الإمامة وأنه المختار من الله تعالى والمبين له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن مشروع الخلافة هو من صناعة أهل السقيفة مما أدى بهم إلى هذه الجرأة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقاموا بقتل إمامهم الشرعي المرتبط بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن هذه الجريمة قد ترتب عليها عقوبات عدة منها في الدنيا ومنها في الآخرة.

ولا شك أنها عليها السلام حينما بينت هذه العقوبات إنما أرادت منع وقوع هذه الجريمة في الأجيال اللاحقة فيتحقق الإصلاح في البنية الفكرية كي يعلم الناس والمسلمون أي حرمة قد انتهكت على يد هؤلاء وأن التعرض لهذه المقدسات الإلهية لها تبعات قاسية وهو ما بينه القرآن الكريم في معرض بيانه للأمم السابقة وما لحق الأمم حينما أقدمت على هتك الحرمات فكانت هذه العقوبات متفاوتة بحسب طبيعة الجرم الذي أوقعته هذه الأمة أو تلك.

ولذا: نجد هنا العقوبات المتفاوتة في الضرر وذلك طبقاً لنوع الجرم وعظم الحرمة المنتهكة فكانت كالآتي:

١. إن قوم نوح قد أبادهم الله تعالى بالطوفان.

٢. وإن قوم صالح أهلكهم الله تعالى بالصحية.

٣. وإن قوم لوط أهلكهم الله بالخسف.

٤. وإن اليهود عاقبهم الله تعالى بالمسخ وسلط عليهم القمل والجراد.

وغير ذلك من آثار الأمم التي ذكرها الله تعالى في محكم التنزيل؛ وبينها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه لأمته وحذرهم من اتباع سنن الذين كانوا من قبلهم.

ومن هنا:

كان مشروع العقيلة زينب الإصلاحي للبنية الفكرية لأهل الكوفة ومن يسمع قولها ويحدث به أن لا يقع فيما وقع فيه هؤلاء القوم، أي: أرادت بذلك تحقيق الهدف الذي أراده القرآن الكريم في ذكره لما جرى في الأمم السابقة.

فقالت عليها الصلاة والسلام:

(فتعساً تعساً! ونكسا نكساً! لقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة).

وهذه العقوبات كانت على نطاق الدنيا فكانت:

١. التعاسة ما حييتم.

٢. التنكيس للرؤوس والفشل.

٣. الخيبة.

٤. الخسران، فلن ينالوا من الدنيا شيئا.

٥. غضب الله تعالى.

٦. ضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ولا شك أن عذاب الآخرة أشد وأخزى، ولذا تنتقل عليها السلام إلى بيان التلازم فيما بين حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة عترته وأن هتك هذه الحرمة عند الله كجريمة الشرك وهذا ما سنعرض له في الأداة الآتية.

الأداة الحادية عشرة: حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته وإن آثار هتكها عند الله تعالى كآثار جريمة الشرك

إن من أهم المسائل التي ركزت عليها العقيلة زينب عليها السلام والتي أدت بالأمة إلى هذا الانحدار هو الفصل بين حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين عترته أهل بيته وهم الذين جللهم بالكساء اليماني وفيهم نزلت آية التطهير، وآية المودة، وبهم خرج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمباهلة نصارى نجران كما هو بينٌ في أية المباهلة.

ولذلك: تبين العقيلة زينب عليها السلام أن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته عليهم السلام وأن التعرض لانتهاك هذه الحرمة هو عند الله تعالى كجريمة الشرك والسبب في ذلك الحكم، هو:

أن التوحيد لا يمكن أن يستقيم ما لم يعتقد الإنسان بالنبوة فبقدر معرفته الصحيحة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقه الذي أوجبه الله تعالى على الناس كانت هذه المعرفة موصلة إلى تصحيح الاعتقاد بالله تعالى.

ولهذا التلازم بين التوحيد والنبوة والذي ظهر جلياً في الشهادتين اللتين هما مطهرتان للإنسان من الرجس إلى الإيمان فإن حرمة التوحيد والنبوة متلازمتان كذاك في معرفة العترة النبوية فمن عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حق معرفته وآمن به وأنه لا ينطق عن الهوى، عند ذلك لا شك أنه سيعلم أن حرمة العترة في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

أرادت العقيلة زينب في تتابع أدوات العملية الإصلاحية للبنية الفكرية ـ كما يفعل الطبيب الجراح في إزالة الأورام الخبيثة بأدواته الجراحية، أي: تطهير الفكر الذي أضرته المعطيات التي تمخضت عن سقيفة بني ساعدة والتي جاءت بعقيدة حرمة الخلافة والإمارة بديلاً عن عقيدة:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1].

فكان ما كان من الانتهاكات لهذه الحدود الإلهية، التي لها من الآثار السلبية على مصير الإنسان في الدنيا والآخرة.

فأما مصيرها في الدنيا فقد أظهرته العقيلة زينب عليها السلام كما مرّ علينا آنفاً في الأداة السابقة وأما مصيرها في الآخرة فقد أظهرته العقيلة زينب بقولها عليها السلام:

(ويلكم يا أهل الكوفة: أتدرون أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم؟ وأي دم سفكتم؟ وأي حرمة له أضعتم؟ لقد جئتم

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولقد أتيتم بها خرقاء شهواء كطلاع الأرض والسماء؛ أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؛ فلعذاب الآخرة أخزى ولا تنصرون)[1].

وخطابها في هذه الفقرات ركز على أمور، وهي:

١ ـ الملازمة بين عقيدة التوحيد والنبوة.

٢ ـ إن حرمة النبوة في حرمة العترة فهما متلازمتان لا ينفكان ولذا قالت:

(أتدرون أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم).

وهذه الجرائم الثلاثة هي في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس كما كنتم تظنون وما عليه لقنكم الأعراب والمنافقون، ومن ثم فإن هذه الحرمة النبوية هي حرمة الله تعالى ولذا فقد قرن الله تعالى حرمته بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جملة من الآيات الكريمة لاسيما فيما يتعلق بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحربه وشقاقه، فقال عز وجل:

أ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[2].

ب: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ

---

(١) البلدان للهمذاني: ص٢٢٤؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٤؛ الأمالي للمفيد: ٣٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

ج: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

٣ ـ ثم إنها بعد بيان هذه الملازمة بين حرمة الله تعالى وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والملازمة بين حرمته صلى الله عليه وآله وسلم وبين حرمة عترته؛ فإنها تنتقل إلى بيان في غاية الخطورة، وهو: أن جريمة هتك حرمة العترة كجريمة الشرك عند الله تعالى ومن ثم فإن من يقدم على هتك هذه الحرمة فإنه مخلد في النار وإن جريمته لها من الآثار الكونية كآثار الشرك، وهو ما أظهرته في قولها:

(لقد جئتم شيئاً إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).

وهذا الوصف والحالة التي تصيب السماوات والأرض عرضها القرآن الكريم في معرض بيانه لآثار دعوى الشرك لاسيما ادعاؤهم أن لله تعالى ـ والعياذ بالله ـ ولدا، فقال عز وجل:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾[١].

ومن ثم فإن هذه الجريمة لابد لها من عقوبة تتناسب مع حجمها وآثارها الكونية، مما يتطلب إرجاع الأذهان والفكر إلى الأساس الذي تبنى عليه عقيدة المسلم وهو التوحيد.

فهؤلاء الذين خرجوا لقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاك حرمة الله والتعدي على حدوده إنما وقعوا في ذلك بفعل بناء عقيدة التوحيد الفاسدة والتي جاء بها دعاة مشروع السقيفة الذين تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجىً على فراشه لم يبرد بدنه بعد وهم يتصارعون في الوصول إلى كرسي السلطة والإمارة[٢].

ولذا: أرادت العقيلة زينب عليها السلام بعد هذا التدرج في إصلاح البنية الفكرية وإعطاء الأسباب الحقيقية لهذا الانحراف في المجمع المسلم أن تضع يدي المسلم على الجرح وهو العقيدة في التوحيد ولذلك قالت:

(فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلا، إن ربك بالمرصاد)[٣].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ ــ ٩١.

(٢) للمزيد من الاطلاع، ينظر كتاب: وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه للمؤلف.

(٣) الأمالي للمفيد: ص٣٢٣؛ والحفز: الحث والإعجال، والبدار: المبادرة أي لا يحتاج سبحانه إلى الحث والإعجال في المبادرة.

وهنا جاءت بمرتكزات العقيدة في التوحيد، وهي:

١ ـ بيان صفات الله الإفعالية.

٢ ـ إنه عادل، والعدل أصل، حاله حال التوحيد في العقيدة الإسلامية.

٣ ـ قد عرض القرآن الكريم في بيانه لسيرة الأمم السابقة وما نزل فيها من عقوبات عند تعديها للحدود وهتك الحرمات إن عاجلها في العقوبة وذلك بحسب الحكمة الإلهية في إصلاح العباد.

إلا أنه حينما يؤخر العقوبة فليس معنى ذلك أن هذا التعدي للحدود والانتهاكات كاشف عن فقدان حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة عترته، كلا وإنما لحكمة إلهية خاصة.

ومن ثم فإنه إن لم يعجل عليهم العقوبة بما فعلوا فإنه سبحانه لا يحتاج إلى الحث والإعجال لكي يبادر المجرمين الظالمين بالعقوبة.

وعليه:

فلا يستخفنكم هذا الإمهال الذي أمهلكم الله به، فلم يعجّل عليكم العقوبة حينما فعلتم هذه الجرائم.

٤ ـ إن صاحب الثأر لهذه الدماء المقدسة هو الله تعالى وذلك إنها مثال شريعة الله تعالى، والله هو من يأخذ بثأر شريعته التي هتكت فهو بالمرصاد.

وبناء على ما تقدم:

فقد حققت عليها الصلاة والسلام بهذا الخطاب الديني التجديدي للبنية الفكرية ما لم يحققه مصلح آخر، وذلك بفضل تلك الدماء المقدسة التي طهرت العقول من رجس الجاهلية وثقافة الأعراب والنفاق الذين عمدوا إلى زرعها في أرض العقيدة الإسلامية فكانت هذه النتائج المروعة والمفجعة والتي لم تحدث في أمة من الأمم السابقة، وذلك بفعل هذه الاتجاهات والقيم التي أفرزها أدوات سقيفة بني ساعدة خلال نصف قرن من عمر الإسلام، مما تطلب كل هذه التضحيات لتغيير البنية الفكرية والاتجاهات نحو العترة النبوية، وهو ما سنتناوله في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: كيف استطاعت العقيلة زينب عليه السلام بخطابها الديني تغيير الاتجاهات والقيم في المجتمع الكوفي؟

يركز علماء النفس الاجتماعي في دراساتهم وأبحاثهم على أهمية الاتجاهات في كونها دوافع للسلوك، ولا شك أن الدافع النفسي مرهون بالمشاعر الانفعالية والتقييمات الإيجابية أو السلبية ومن ثم يتحدد الاتجاه نحو هذه المعايير.

وحيث أن التنشئة الاجتماعية وما يرد على الإنسان من ثقافة ومعطيات فكرية تُكَوِّنُ لديه اتجاهاً وعقيدة نحو أمرٍ ما؛ ومن ثم فإن الإحاطة بمعرفة الاتجاهات النفسية تمكن الباحث من تحديد السبل في تغيير سلوك الإنسان وتبين له أهميتها في تحقيق الأهداف.

(والاتجاهات عموماً تضفي على حياة الفرد اليومية معنى ودلالة حين يتفق سلوكه مع اتجاهاته ويشبع هذا السلوك تلك الاتجاهات.

ولذلك تعمل اتجاهاتنا النفسية على إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية والاجتماعية، ومن هذه الحاجات الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والقبول الاجتماعي، والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة معينة، والحاجة إلى المشاركة الوجدانية.

وهنا يتقبل الفرد قيم الجماعة ومعاييرها، والفرد يرغب دائماً في الانتماء إلى جماعة حتى المجرمين يميلون إلى الانتماء إلى جماعات إجرامية، ويلزم أن يقبل الفرد اتجاهات الجماعة التي يريد الانتماء إليها بل إنه يكتسب نفس الألفاظ والشعارات التي تستخدمها الجماعة، فالحاجة إلى الانتماء من الحاجات الأساسية في الإنسان.

كذلك تعمل اتجاهاتنا على تسهيل استجاباتنا في المواقف التي لدينا اتجاهات خاصة بها، فلا ينحث على سلوك جديد في كل مرة نجابه فيها هذا الموقف، وكذلك تساعدنا الاتجاهات على تفسير ما تمر به من مواقف وخبرات وعلى إعطاء هذه المواقف معنى ودلالة.

وتفيد معرفة الاتجاهات النفسية في كثير من الميادين، ففي الميدان التربوي تفيد الإدارة التعليمية من معرفة اتجاهات التلاميذ نحو المواد الدراسية المختلفة ونحو زملائهم وكتبهم ومدرسيهم ونظم التعليم وأنواعه وطرق التدريس.

وفي الميدان الصناعي تفيد معرفة اتجاهات العمال نحو عملهم ونظم

الإدارة في تحقيق سعادة العمال وتكيفهم وفي زيادة الإنتاج، رفع مستواه وتقليل حوادث الإصابة وكذلك تقلل من نسب الإصابة وكذلك تقلل من نسب تغييب العمال وتمارضهم وتمردهم.

وللاتجاهات أهمية بالغة في حياة الفرد، فهي تساعده على التكيف مع الحياة الواقعية، كما تساعده على التكيف الاجتماعي، وذلك عن طريق قبول الفرد للاتجاهات التي تعتنقها الجماعة فيشاركهم فيها ومن يشعر بالتجانس معهم)[١].

أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه

اختلف علماء النفس حول تعريف مصطلح الاتجاه تعريفاً جامعاً مانعاً وذلك (أن مفهوم الاتجاه من أكثر المفاهيم المستخدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية غموضاً، ولقد تعددت التعريفات والاستخدامات في ميادين شتى حتى أنه لا يوجد اتفاق عام على تعريف الاتجاه)[٢].

إلاّ أن الذي يهون الأمر بنسبة ما هو أن المشتغلين بالعلوم النفسية قد توصلوا إلى شبه اتفاق حول تعريف هذا المصطلح، وهو:

(أن الاتجاه هو ميل مؤيد أو مناهض إزاء موضوع من الموضوعات المعينة كالأشخاص والفئات الاجتماعية والأشياء المادية)[٣].

---

(١) علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة، للدكتور أحمد محمد مبارك الكندري: ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لعكاشة: ص١١٩.

(٣) المصدر السابق.

ولعل الرجوع إلى بعض التعريفات حول هذا المصطلح يعطي صورة حول حقيقة مفهومة وهي كالآتي:

١ ـ يعرف ثرستون (Thurstone) الاتجاه بأنه درجة الشعور الايجابي أو السلبي المرتبط ببعض الموضوعات السيكولوجية:

ويقصد ثرستون بالموضوعات السيكولوجية أي رمز أو نداء أو قضية أو شخص أو مؤسسة، أو مثال، أو فكرة، وغير ذلك مما يختلف حوله الناس، فالاتجاه لا يكون إزاء الحقائق الثابتة المقررة، وإنما هو دائما تجاه الموضوعات التي يمكن أن تكون موضوعات جدلية.

٢ ـ أما نيوكوحب فيؤكد عنصر الدافع في مفهوم الاتجاه، ويرى أن الاتجاه حالة من الاستعداد تثير الدافع، ومن ثم فإن اتجاه الفرد نحو شيء ما يصبح عبارة عن استعداد للعمل والادراك والتفكير والشعور أي الاستعداد للاستجابة أياً كان نوعها، ولكن الاتجاه ليس هو السلوك ذاته أو الاستجابة ذاتها ولكنه الدافع الذي يكمن وراء السلوك.

ويعرفه بوجاردس (E.S.Bogardus) بأنه الميل الذي ينحو بالسلوك قريباً من بعض عوامل البيئة أو بعيداً عنها، ويضفي عليها معايير موجبة أو سالبة تبعاً لانجذابه إليها أو نفوره منها، فهو بذلك يؤكد البيئة الخارجية.

ويعرفه توماس (W.I.Thomas) وزنانكي (Znanieki) بأنه الموقف النفسي للفرد حيال إحدى القيم والمعايير، فموقف المواطن الصالح من السرقة في

مجتمع يعاقب السارق ويدعو إلى الأمانة، اتجاه نفسي تحدده المعايير الاجتماعية القائمة.

ويشير باكمان (Backman) إلى أن الاتجاه يتضمن تنظيمات محددة في الفرد تشمل مشاعره وأفكاره ونزعاته التي تجعله يتصرف تجاه بعض مظاهر بيئته.

ويعرف جيلفورد (Guilford) الاتجاه بأنه: استعداد خاص يكثر شيوعه في الأفراد، وهو مكتسب بدرجات متفاوتة ويدفعهم إلى الاستجابة لأشياء ومواقف معينة بطرق مختلفة يمكن أن يقال عنها أنها في صالحها أو ضدها.

ويعرف روكيش (Rokeach) الاتجاه النفسي بأنه تنظيم مكتسب له صفة الاستمرار النسبي للمعتقدات التي يعتقدها الفرد نحو موضوع أو موقف، ويهيئه للاستجابة باستجابة لها الأفضلية عنده.

ويعرف محمود السيد أبو النيل الاتجاه بأنه: استعداد نفسي تظهر محصلته في وجهة نظر الشخص حول موضوع من الموضوعات سواء كان اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً، أو حول قيمة من القيم كالقيمة الدينية أو الجمالية أو النظرية أو الاجتماعية، أو حول جماعة من الجماعات كجماعة النادي أو المدرسة أو المصنع، ويعبر عن هذا الاتجاه تعبيراً لفظياً بالموافقة عليه أو عدم الموافقة أو المحايدة، ويمكن قياس الاتجاه بإعطاء درجة للموافقة والمعارضة والمحايدة.

ويعرف أحمد زكي صالح سنة ١٩٨١م، الاتجاه بأنه استجابة عامة عند

الفرد إزاء موضوع نفسي معين، حيث الاتجاه يتضمن حالة تأهب واستعداد لدى صاحبه تجعله يستجيب بطريقة معينة سريعة دون تفكير أو تردد إزاء موضوع معين.

ويعرف ماهر عمر سنة ١٩٨٨م الاتجاه النفسي بأنه استجابة عامة، عقلية ونفسية، عند الفرد نحو مثيرات محددة مرتبطة بموضوع معين في البيئة التي يعيش فيها، تنظيمها وتوجهها خبراته السابقة، بما يكفل تقويمها وتعميمها على سلوكياته الكلية في المواقف والظروف المتشابهة المرتبطة بموضوع الاتجاه، مما يجعله يتصل بأنه اتجاه إيجابي أو اتجاه سلبي.

أما البورت (Allport) فيعرف الاتجاه بأنه إحدى حالات التهيؤ والتأهب العقلي العصبي التي تنظمها الخبرة، وما يكاد يثبت الاتجاه حتى يمضي مؤثرا وموجهاً لاستجابات الفرد للأشياء والمواقف المختلفة، فهو إذن ديناميكي عام.

والتأهب قد يكون موقوتاً لأجل قريب، أو ممتداً لأمد بعيد، فأما القريب العابر فينبغ من تفاعل الفرد مع موقفه المحيط به في لحظته الراهنة، فالجائع يقبل على الخبز، ثم يدفع ما بقي منه بعيداً عنه عندما يشبع وبذلك ينتهي تأهبه عند إشباع رغبته.

وأما التأهب الطويل الأمد، فهو أكثر ثباتاً واستقراراً، فالشخص الذي يحب لوناً خاصاً من ألوان الطعام لا يرى غضاضة في التحدث عنه بعد أن يشبع نهمه منه، واتجاه الفرد نحو صديق عزيز لديه لا يتغير أو يتأثر كثيراً بالمضايقات الوقتية العابرة، والنباتيون يعزفون عن أكل اللحم فيسفرون

بذلك عن اتجاه ما، والمسلم يمتنع عن أكل لحم الخنزير خضوعاً لاتجاه تفرضه عليه المعايير والمحرمات الدينية.

فالاتجاه بهذا المعنى تأهب مستقر، يمتد به ثباته لأمد طويل، إذن فليس كل تأهب اتجاهاً، ولكن كل اتجاه ينطوي على تأهب.

وبقاء الاتجاه واستقراره في حياة الفرد، لا يتعارض منطقياً واستحالته وتطوره، ذلك بأن الاتجاه يتكون نتيجة لتأثر الفرد بمثيرات مختلفة تنبعث من اتصاله بالبيئة المادية والاجتماعية، ومعايير الثقافة، وهكذا يتغير الاتجاه تبعاً لتغير صلته الديناميكية بتلك الأشياء)[(١)].

وبناءً على هذه التعريفات للاتجاه وظهور مفهومه نخلص إلى حقيقة وهي:

إن خطاب العقيلة زينب عليها السلام قد تمكن ومن خلال تلك الأدوات التي اشتمل عليها هذا الخطاب من تغيير البنية الفكرية وإصلاحها وتغيير اتجاهها من الميل والمآزرة لبني أمية ومشروع السقيفة إلى الإدراك بأن الإسلام الحقيقي محصور في الثقلين كتاب الله وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومن ثم فإنهم قد خدعوا وغرر بهم وأضاعوا دينهم ودنياهم وآخرتهم حينما قدموا على هذه الجريمة والمصيبة مما عظّم لديهم الشعور بالبغض لآل بني أمية ومن جاء بهم إلى كرسي الخلافة والإمارة، مما دفعهم إلى السير باتجاهين:

---

(١) علم النفس الاجتماعي للكندري: ص٢٩٣ ـ ٢٩٦.

١ ـ الانتقام ممن غرر بهم وساقهم إلى هذه التهلكة والخسارة العظيمة.

٢ ـ إظهار كل ما من شأنه أن يحقق لهم التوبة وإحراز رضا العترة النبوية فبرضاهم رضا الله تعالى.

ومن ثم يتحقق لدى العقيلة زينب عليها السلام ومن قبلها سيد الشهداء عليه السلام في مشروعه الإصلاحي لأمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما أرادا، ومما يدل على تحقيق هذه النتيجة هو مجموعة من الحوادث التي بدأت ككرة الثلج تتجه نحو الإصلاح والانقلاب على الظلم وأشياعه؛ ولأن الفساد كان كبيراً، ولأن الخراب كان عظيماً، فقد احتاجت النتائج في ظهورها وقتاً ليس بالقصير مما أوهم البعض بأن خطاب العقيلة، وخروج سيد الشهداء عليهما السلام وتضحيته العظيمة بما شهدته كربلاء فلا حاجة إلى التدليل لم يكونا قد حققا أهدافها وهذا يكشف عن الجهل أو التضليل والتدليس للحقائق أو المكابرة وكل ذلك لا يغير من الواقع شيئاً.

فاليوم أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأشياعهم ملأوا الأرض فضلاً عن تأثر الفكر الإنساني عموماً بهذه القضية وانجذابهم إلى أهدافها وتعاطفهم مع تضحياتها مما جعلها مدرسة ينهل منها أهل الفكر والعلم وعشاق الحرية والكرامة والعزة.

ولعل الرجوع إلى خطاب العقيلة زينب عليها السلام وما تبعه من ظهور (الاستجابة المسيطرة) لدى الناس وتغير اتجاههم نحو العترة لغير ما نستدل به على ثبوت هذه الحقيقة، وهو ما سنعرض له في (ثانياً).

ثانياً: شواهد ظهور الاستجابة المسيطرة وتغيير الاتجاه في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام

الشاهد الأول: التغيير العام في سلوك أهل الكوفة

إن أول الشواهد ظهوراً في تحقيق الاستجابة المسيطرة في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام يكمن في التغيير العام في سلوك أهل الكوفة لاسيما أولئك الذين تجمعوا للاستماع إلى خطابها، أما من حقت عليه كلمة العذاب فلا تنفعه المواعظ ولا الإنذار ولذلك تفيد الرواية التاريخية بأن أهل الكوفة أصبحوا بعد سماعهم لخطاب العقيلة بكيفية تكشف عن العودة إلى الذات والبحث عن السبل التي تمكنهم من تصحيح المسير والاتجاه، وفي ذلك يقول الراوي لخطبة العقيلة زينب عليها السلام والشاهد على حال أهل الكوفة بعد سماعهم لخطبتها عليها السلام:

(فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول:

صدقت بأبي وأمي، كهولهم خير الكهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم إذا عد نسل لا يبور ولا يخزي[1]

وهذا هو الشاهد التاريخي الأول.

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٤؛ الأمالي للمفيد: ص٣٢٤؛ الأمالي للطوسي: ص٩٣؛ الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣١؛ التذكرة الحمدونية لابن حمدون: ج٦، ص٢٦٦؛ تاريخ الكوفة للسيد البراقي: ص٢٩٥؛ البحار: ج٤٥، ص١٦٤.

الشاهد الثاني: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام

قولهم للإمام زين العابدين عليه السلام: نحن سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك.

ما رواه الطبري (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) وابن نما الحلي (المتوفى سنة ٦٤٥هـ) وغيرهما:

أن الإمام زين العابدين عليه السلام حينما كلم الناس بعد العقيلة عليها السلام فكان مما قال:

«بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي».

يقول الراوي: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً، هلكتم وما تعلمون)[1].

ثم قال عليه السلام:

«رحم الله امرأ قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله، وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنّا

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢؛ مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٦٩؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ١١٣.

حرب لحربك وسلم لسلمك، نبرأ ممن ظلمك وظلمنا)[١].

الشاهد الثالث: حسبك يا ابنة الطاهرين

ومن الشواهد أيضاً على تغيير الاتجاه نحو العترة النبوية عليهم السلام قول أهل الكوفة لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام بعد أن خطبت فيهم، يقول الراوي:

(فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد حرقت قلوبنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت)[٢].

الشاهد الرابع: تفجر شرارة الانتفاضة على والي الكوفة بلسان عبد الله بن عفيف الأزدي

إن أول ظهور عملي بإصلاح البنية الفكرية بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام في الكوفة وتغيير الاتجاه نحو العترة النبوية ونصرهم وإعلان الحرب على عدوهم ومواجهة الحاكم الجائر الظالم مما أعطى صورة عن السلوك الأنموذج لانطلاق الإصلاح وتغير الاتجاه، هو انتفاضة عبد الله ابن عفيف الأزدي في مجلس ابن زياد والي الكوفة.

وفي مجرياتها روى كلٌّ من ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥)

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢؛ مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٧٠؛ البحار: ج٤٥، ص١١٣؛ العوالم للبحراني: ص٣٨٢.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٩؛ مثير الأحزان: ص٦٨؛ البحار: ج٤٥، ص١١٢؛ العوالم للبحراني: ص٣٨٠.

والبلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩هـ) والطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ) وغيرهم، عن حميد بن مسلم، أنه قال:

(لما دخل عبيد الله بن زياد القصر ودخل الناس نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد، فقال:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير (المؤمنين) يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي، فقال له:

يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين.

فقال ابن زياد: عليّ به، فوثبت عليه الجلاوزة، فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور وصاحر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل، فوثبت إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله.

فقال ابن زياد للاشراف: أما رأيتم ما صنع هؤلاء؟ قالوا: بلى؛ قال: فسيروا أنتم يا أهل اليمن حتى تأتوني بصاحبكم، وأشار عليه عمرو بن الحجاج بأن يجلس كل من كان في المسجد من الأزد؛ وحبسوا وفيهم عبد الرحمان بن مخنف وغيره، فأقتتلت الأزد وأهل اليمن قتالاً شديداً، واستبطأ ابن زياد أهل اليمن، فقال لرسول بعثه إليهم:

أنظر ما بينهم؟

فأتاهم فرأى أشد قتال، فقالوا: قل للأمير: إنك لم تبعثنا إلى نبط الجزيرة ولا إلى جرامقة الموصل، إنما بعثتنا إلى الأزد، إلى أسود الأجم ليسوا ببيضة تحسى ولا حرملة توطأ.

فقتل من الأزد عبيد الله بن حوزة الدالبي ومحمد بن حبيب البكري، وكثرت القتلى بينهم وقويت أهل اليمانية على الأزد، وصاروا إلى خص في ظهر دار ابن عفيف فكسروه واقتحموا عليه داره فناولته ابنته سيفه فجعل يذب به نفسه، وشدوا عليه من كل جانب حتى أخذوه فانطلقوا به إلى ابن زياد، وهو يقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري.... شق عليكم موردي ومصدري؛ ثم أمر به ابن زياد بعد أن دار كلام بينهما في عثمان بن عفان، ثم أمر به فصلب في السبخة[1].

الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفة يظهر ندمه وخسرانه في طاعته لابن زياد

من الشواهد الدالة على آثار الخطاب الديني للعقيلة زينب في تغيير البنية الفكرية والاتجاهات النفسية نحو الأقمار بالحق وإن إتباع بني أمية ورموزها هو الباطل والخسران الكبير ما نطق به عمر بن سعد معترفاً ومقراً ومعترفاً ـ بدور

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٢١٠؛ المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: ص٤٨٠؛ تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٥١؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٣؛ المقتل لابن مخنف: ص٢٠٧؛ الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١١٧.

وآثار الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام بعد أن رأى حال الناس في الكوفة عند دخول السبايا واستماعهم إلى خطاب العقيلة زينب ولذا: لم يجد غير الإفصاح عن هذا الندم والإقرار بالهزيمة وأن النصر الحقيقي للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونهجه ودعوته الإصلاحية في الأمة؛ ولذلك: جعل يقول:

(ما رجع أحد إلى أهله بشر مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة)[1].

وعليه:

فإن هذه الشواهد لتدل على اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسي نحو العترة النبوية ومن ثم نجاح المشروع الإصلاحي الذي خرج به الإمام الحسين عليه السلام وأكملته العقيلة زينب عليها السلام، وهو ما سنتناوله في ثالثا.

ثالثا: اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسي نحو العترة بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام

ذهب علماء النفس الاجتماعي إلى أن مكونات الاتجاه هي ثلاثة مكونات، وإن هذه المكونات اجتمعت في مجتمع الكوفة بعد استماعهم لخطاب العقيلة، وهذه المكونات كالآتي:

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج١٠، ص١٩٠؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص٣٠٣؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص٨١.

المكون الأول: المكون المعرفي

لا شك أن المفردات التي اشتمل عليها خطاب العقيلة زينب عليها السلام وما تحقق لديها من أرضية في مأساة عاشوراء لكفيلة بتحقيق الجانب المعرفي بالقضية التي بعث بها سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ممثلة بعترته عليهم السلام.

ولذلك إن الجانب المعرفي (يتمثل في العمليات العقلية التي ترتبط بمعتقدات الفرد نحو الأشياء، فاتجاه الفرد نحو الإسلام مثلا يبعث عن معتقدات معينة)[1].

وهذه المعتقدات المعينة في الإسلام الأموي احتاج إلى هذا الخروج من سيد الشهداء من المدينة ومكة إلى العراق ليظهر المعتقدات الصحيحة في التوحيد والنبوة والإمامة على أرض كربلاء.

وذلك أن المكونات المعرفية يمكن تقسيمها إلى:

أ: المدركات والمفاهيم، أي ما يدركه الفرد حسياً ومعنوياً.

ب: المعتقدات، وهي مجموعة المفاهيم المتبلورة الثابتة في المحتوى النفسي والعقلي للفرد.

ج: التوقعات: وهي ما يمكن أن يتنبأ به الفرد بالنسبة للآخرين أو يتوقع حدوثُه.

---

(١) علم النفس الاجتماعي للكندري: ص٢٩٧.

ولا ريب أن تلك المكونات قد أحاطت بها العقيلة زينب عليها السلام ومن ثم عملت على تحريكها في نفوس وعقول أهل الكوفة، ومن ثم حققت المكون الأول للاتجاه النفسي ـ من خلال خطابها ـ لأهل الكوفة.

المكون الثاني: المكون الوجداني الانفعالي

إن من البداهة بمكان أن تتفرد مأساة كربلاء على تاريخ الأمم السابقة واللاحقة من حيث غزارة العاطفة والوجدان، ومن ثم فإن المكون الثاني للاتجاه النفسي يكون هو الأبرز في تغيير الاتجاه نحو العترة النبوية عليهم السلام.

يقول الكندري في تعريف هذا الجانب: (يتمثل في النواحي العاطفية والانفعالية المرتبطة بالأشياء والأشخاص والأحداث المختلفة، ولقد أكدت معظم البحوث والدراسات التي أجريت حول المكونات العاطفية والانفعالية للاتجاه النفسي أنها تحدد عمق وشدة وكمية الانفعال الذي يصاحب سلوك الفرد نحو موضوع أو شخص أو شيء معين، ويتضح ذلك من غضب أو سرور الفرد عند مناقشته موضوع الاتجاه مع الآخرين)[1].

ويقول محمود فتحي عكاشة في بيان اهتمام المكون الانفعالي:

(بالنسبة للمكون الانفعالي يهتم بالجانب العاطفي لهذه الاعتقادات، كما يمثل مقدار الشعور الإيجابي أو السلبي للفرد نحو موضوع الاتجاه، فقد يختلف شخصان في الخصائص التي يعزوها كل منهما لموضوع الاتجاه، ولكن يمكن أن

---

(١) علم النفس الاجتماعي للكندري: ص٢٩٨.

يكون متماثلاً في درجة الشعور الإيجابي أو السلبي اللذين يظهرانه أنه نحوه)[١].

ومن ثم فإن المسلمين اليوم قد يختلفان في المكون المعرفي في الاتجاه النفسي فيما يمثله الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من عقيدة من حيث أنه إمام معصوم مفترض الطاعة أم أنه ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ومن ثم لا يتفقان في المكون المعرفي إلا أنهما يكونان متماثلين في درجة الشعور الإيجابي اللذين يظهرانه نحو ما جرى على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعياله في كربلاء وأنهما يبديان الاهتمام بالجانب العاطفي نحو هذه الشخصية ومن ثم يكون الإمام الحسين عليه السلام قد حقق نسبة كبيرة من تغيير الاتجاه النفسي نحو القرآن والعترة ومن ثم تكون إمكانية تحقق المكون المعرفي سهلة.

المكون الثالث: المكون النزعي السلوكي

وهذا المكون هو نتيجة لما سبق من المكونات ومكمل لهما وذلك أنه يكون (نتيجة للمكونين السابقين ويشير إلى نية الفرد ليسلك بطريق معين أو إلى سلوكه الفعلي فيما يتعلق بموضوع الاتجاه.

ومن المتوقع أن ترى في الواقع علاقة قوية بين المكونات الثلاثة طالما أن الطريقة التي يتصور بها الفرد الموضوع ينبغي أن تؤثر في قوة شعوره نحو الموضوع، والتي بدورها ينبغي أن تؤثر في سلوكه الظاهر)[٢].

---

(١) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لعكاشة: ص١٢٤.

(٢) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لعكاشة: ص١٢٤.

ولا يخفى على المتتبع للتاريخ الإسلامي فضلاً عما ذكرناه من شواهد أنه يجد خير دليل على قدرة العقيلة زينب عليها السلام ومن خلال خطابها الديني في تغيير الاتجاه النفسي للمسلم في المجتمع الكوفي أو غيره من المجتمعات حينما يستحضر القارئ أو الباحث جميع مجريات قضية عاشوراء.

وإن شعار الإصلاح الذي خرج من أجله أخوها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي أخرجها من أجله لتكمل مسيرته صلوات الله عليهما قد نجح نجاحاً منقطع النظير في جميع الحركات الإصلاحية التي ظهرت على الأرض سواء ما كانت بيد الأنبياء عليهم السلام أو ما خرج به كثير من المفكرين والمصلحين في شرق الأرض وغربها.

والسبب في تحقق هذا النجاح هو اكتمال هذه المكونات الثلاثة بدرجة تامة، أي: (المكون المعرفي، والمكون الانفعالي، والمكون النزعي السلوكي) في حين تفاوتت الحركات الإصلاحية سواء ما كان منها مرتبطاً بالسماء أو بالأرض بتحقق هذه المكونات بنسبة مختلفة وقد لا تجد هذه الحركات سوى مكون واحد ومن ثم لا يكتب لها الدوام والاستمرارية، ولا تجد هناك سلوكاً ظاهراً يدل على تغيير الاتجاه النفسي نحو هذه الحركة الإصلاحية.

في حين أننا نجد: أن الظواهر السلوكية لدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في كاشفيتها عن الاتجاه النفسي نحو العترة النبوية ومن خلال الشعائر الحسينية وغيرها لخير دليل على نجاح خطاب العقيلة زينب في إصلاح البنية الفكرية في المجتمع المسلم وأنها جاءت بحقيقة التجديد في الخطاب الديني.

فمن التمسك بمشروع السقيفة والتنصر لبني أمية إلى التمسك بالثقلين حيث أمر بهما جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

والتضحية من أجلهما بالمال والولد والأنفس، فأي عقيدة أرسخ من هذه العقيدة.

فسلام الله وصلاته على عقيلة الطالبيين وزينة أبيها علي أمير المؤمنين، زينب الكبرى شبيهة جدتها خديجة، ومثال أمها فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

وسلام على العقيلة زينب يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تبعث حيةً.

تم بحمد الله وسابق لطفه وعنايته في يوم السبت الموافق الرابع من شهر صفر الخير لسنة ١٤٣٥هـ، المصادف ٢٠١٣/١٢/٧م، في أروقة مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[(١)]. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٢)]. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)].

نبيل بن السيد قدوري بن السيد حسن

ابن السيد علوان بن السيد جاسم الحسني الكربلائي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٢.

المصادر

١. أحاديث عائشة / تأليف: السيد مرتضى العسكري / نشر: التوحيد للنشر لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م / الطبعة الخامسة / طبع: مطبعة صدر / قم المقدسة ـ إيران.

٢. الاحتجاج / تأليف: الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة السادسة / قم المقدسة ـ إيران.

٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثانية / بيروت لبنان.

٤. أساس البلاغة / تأليف: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) / نشر وطبع: دار ومطابع الشعب لسنة ١٩٦٠م / القاهرة ـ مصر.

٥. الاستذكار / تأليف: ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) / تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة / تأليف: عز الدين ابن الأثير ابي الحسن علي ابن محمد الجزري (ت ٦٣٠) / تحقيق: مجموعة من المحققين / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م / بيروت ـ لبنان.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة / تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) / دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٨. الإصابة في تمييز الصحابة / تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) / نشر وطبع: دار السعادة.

٩. أصول السرخسي / تأليف: السرخسي (ت ٤٨٣هـ) / تحقيق: أبو الوفا الأفغاني / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

١٠. أصول الكافي / تاليف: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) / نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الخامسة / قم المقدسة ـ إيران.

١١. الأمالي / تأليف: الشيخ أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / نشر وطبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الأولى / قم المقدسة ـ إيران.

١٢. الأمالي / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ) / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / نشر وطبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م / الطبعة الأولى / قم المقدسة ـ إيران.

١٣. الأمالي / تأليف: الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) / تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري / نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثانية / بيروت لبنان.

١٤. أنساب الأشراف / تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ) / تحقيق: محمود الفردوس العظم / نشر وطبع: دار اليقظة العربية لسنة ١٩٩٧م / الطبعة الأولى / دمشق . سوريا.

١٥. باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة / تأليف: السيد نبيل الحسني / دراسة وتحقيق: المؤلف / نشر: قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء لسنة ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م / طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

١٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) / نشر وطبع: مؤسسة الوفاء لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الثانية المصححة / بيروت . لبنان.

١٧. البحر الرائق / تأليف: ابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ) / ضبط وتخريج الآيات والأحاديث: الشيخ زكريا عميرات / نشر منشورات محمد علي بيضون لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م / طبع: دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

١٨. بغية الطلب في تاريخ حلب / تأليف: كمال الدين ابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ) / تحقيق: سهيل زكار / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت . لبنان.

١٩. بلاغات النساء / تأليف: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ) /

تحقيق: بركات يوسف هبود / نشر وطبع: المكتبة العصرية لسنة ١٤٢٦هـ / الطبعة الأولى / صيدا.

٢٠. البلدان / تأليف: أحمد بن محمد الهمداني (ابن الفقيه الهمداني) (ت ٣٤٠هـ) / تحقيق: يوسف الهادي / نشر وطبع: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٢١. البيان والتبيين / تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: دار الجيل / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٢٢. تاريخ الطبري / تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) / تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الرابعة / بيروت ـ لبنان.

٢٣. التاريخ الكبير / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري (ت ٢٥٦هـ) / نشر وطبع: المكتبة الإسلامية / ديار بكر ـ تركيا.

٢٤. تاريخ الكوفة / تأليف: السيد البراقي (ت ١٣٣٢هـ) / تحقيق: ماجد أحمد العطية / استدراكات: السيد محمد صادق آل بحر العلوم المتوفى ١٣٩٩هـ / نشر وطبع: إنتشارات المكتبة الحيدرية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى / النجف الأشرف ـ العراق.

٢٥. تاريخ مدينة دمشق / تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

٢٦. التبيان في تفسير القرآن / تأليف: الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) /

تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٠٨هـ / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٢٧. **تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / تأليف: ابن شعبة الحراني المتوفى في القرن الرابع / تصحيح وتحقيق: علي أكبر الغفاري / نشر وطبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الثانية / قم المقدسة . إيران.**

٢٨. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / تأليف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) / تحقيق: عصام الصبابطي / نشر وطبع: دار الحديث لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م / الطبعة الأولى / القاهرة . مصر.**

٢٩. **التذكرة الحمدونية / تأليف: ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ) / تحقيق: احسان عبّاس و بكر عبّاس / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر لسنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.**

٣٠. **تفسير الثوري / تأليف: سفيان الثوري / (ت ١٦١هـ) / تحقيق: لجنة من العلماء / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.**

٣١. **تفسير السمرقندي / تأليف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي (ت ٣٧٣هـ) / تحقيق: د. محمود مطرجي / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.**

٣٢. **تفسير القرآن / تأليف: عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) / تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد / نشر وطبع: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م / الطبعة الأولى / الرياض . المملكة العربية السعودية.**

٣٣. تفسير مجمع البيان / تأليف: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) / تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٣٤. تفسير مقاتل بن سليمان / تأليف: الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء البلخي (ت ١٥٠هـ) / تحقيق: أحمد فريد / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٣٥. التمهيد / تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري / نشر وطبع: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة ١٣٨٧هـ / المغرب.

٣٦. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / تأليف: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) / تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر / نشر وطبع: مؤسسة الكتب الثقافية لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثالثة / بيروت . لبنان.

٣٧. تهذيب الكمال / تأليف: أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت ٧٤٢هـ) / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٣٨. الثقات / تأليف: محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) / الطبعة الأولى / نشر وطبع: مؤسسة الكتب الثقافية لسنة ١٣٩٣م / حيدر آباد الدكن . الهند.

٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) / تأليف: أبو جعفر محمد

ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) / نشر وطبع: دار ابن حزم . دار الإعلام لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٤٠. جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق / تأليف: علي بن محمد القمي المتوفى في القرن السابع / تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي / نشر: إنتشارات زمينه سازان ظهور إمام عصر (عج) / طبع: مطبعة باسدار اسلام / الطبعة الأولى / قم المقدسة . إيران.

٤١. جامع بيان العلم وفضله / تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) / نشر: دار ابن الجوزي لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م / الطبعة الأولى / المملكة العربية السعودية.

٤٢. الجامع لاحكام القرآن . تفسير القرطبي / تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) / تحقيق: احمد عبد العليم البردوني / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي / بيروت . لبنان.

٤٣. جغرافية المعتقدات والديانات / تأليف: د. محسن عبد الصاحب المظفر / نشر وطبع: دار صفاء لسنة ١٤٣١هـ / الطبعة الأولى / عمان.

٤٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام / أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١هـ) / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / نشر وطبع: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية لسنة ١٤١٦هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة . إيران.

٤٥. الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله / تأليف: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبري المتوفى في القرن السابع / تحقيق:

الدكتور محمد التونجي / نشر: مكتبة النوري بدمشق / طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٠٢هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٤٦. الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب / تأليف: محمد أبو زهرة / نشر وطبع: دار الفكر العربي لسنة ١٣٥٣هـ، ١٩٣٤م / القاهرة ـ مصر.

٤٧. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية / تأليف: المحقق البحراني (ت ١١٨٦هـ) / تحقيق: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث / نشر وطبع: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٤٨. الزمان والأزل / مقال في فلسفة الدين / ترجمة: الدكتور زكريا إبراهيم.

٤٩. السقيفة وفدك / تأليف: الجوهري (ت ٣٢٣هـ) / تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني / نشر وطبع: شركة الكتبي للطباعة والنشر لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٥٠. سنن أبي داوود / تأليف: ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) / تحقيق وتعليق: سعد محمد اللحام / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٥١. سنن الترمذي / تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٥٢. السنن الكبرى / تأليف: الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب

العلمية لسنة ١٤٢٤هـ / الطبعة الثالثة / بيروت لبنان.

٥٣. **سؤالات الآجري لأبي داود / تأليف: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) / تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي / نشر: مكتبة دار الاستقامة، السعودية لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م / طبع: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.**

٥٤. **سير أعلام النبلاء / تأليف: شمس الدين الذهبي (ت ٦٣٠هـ) / إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م / الطبعة التاسعة / بيروت . لبنان.**

٥٥. **شرح الصدور بتحريم رفع القبور / محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).**

٥٦. **شرح نهج البلاغة / تأليف: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) / تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم / نشر وطبع: دار إحياء الكتب العربية لسنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م / الطبعة الأولى / بغداد . العراق.**

٥٧. **الصحاح . تاج اللغة وصحاح العربية / تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) / تحقيق: د. اميل بديع يعقوب / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٠هـ / الطبعة الأولى / بيروت لبنان.**

٥٨. **صحيح البخاري / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري (ت ٢٥٦هـ) / نشر وطبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م / الطبعة الرابعة / بيروت . لبنان.**

٥٩. **صحيح مسلم / تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) / تحقيق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.**

٦٠. الطبقات الكبرى / تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ) / نشر وطبع: دار صادر . دار بيروت لسنة ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٦١. علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة / تأليف: الدكتور أحمد محمد مبارك الكندري / نشر وطبع: مكتبة الفلاح لسنة ١٤٣٢هـ، ٢٠١٢م / الطبعة الأولى / الكويت.

٦٢. علم خصائص الشعوب . علم الأقوام / تأليف: د. علي عبد الله الجباوي / نشر وطبع: دار التكوين لسنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م / الطبعة الأولى / دمشق . سوريا.

٦٣. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري / تأليف: بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) / تحقيق: محمد أحمد الحلاق / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٦٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام / تأليف: الشيخ عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ) / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الإصفهاني / نشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزة العلمية لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م / طبع: مطبعة أمير / الطبعة الأولى المحققة / قم المقدسة . إيران.

٦٥. عيون الأخبار / تأليف: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) / نشر منشورات محمد علي بيضون لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م / طبع دار الكتب العلمية / الطبعة الثالثة / بيروت . لبنان.

٦٦. الفائق في غريب الحديث / تأليف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٧هـ / الطبعة الأولى / بيروت .

لبنان.

٦٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء / تأليف: أحمد بن عبد الرزاق الدويش / طبع: الرياض - المملكة العربية السعودية

٦٨. فتح الباري في شرح صحيح البخاري / تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) / نشر وطبع: دار المعرفة للطباعة والنشر / الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.

٦٩. الفتنة ووقعة الجمل / تأليف: سيف بن عمر الضبي الأسدي (ت ٢٠٠هـ) / تحقيق: أحمد راتب عرموش / نشر وطبع: دار النفائس لسنة ١٣٩٧هـ / الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.

٧٠. الفتوح / تأليف: أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) / تحقيق: علي شيري / نشر وطبع: دار الأضواء لسنة ١٤١١هـ / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٧١. فضائل الصحابة / تأليف: أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي (ت ٣٠٣هـ) / نشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٧٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير / تأليف: زين الدين محمد بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت ١٠٣١هـ) / تصحيح: أحمد عبد السلام / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٧٣. قرب الاسناد / تأليف: الحميري القمي (ت ٣٠٤هـ) / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٣هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة . إيران.

٧٤. الكافي في الفقه / تأليف: أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ) / تحقيق: رضا أستادي

/ نشر وطبع: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة / إصفهان . إيران.

٧٥. الكامل في التاريخ / تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر لسنة ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م / بيروت . لبنان.

٧٦. كتاب الأم / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي (ت ٢٠٤هـ) / نشر وطبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.

٧٧. كتاب العين / تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) / تحقيق: د. مهدي المخزومي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

٧٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م / الطبعة الرابعة / بيروت . لبنان.

٧٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م / الطبعة الرابعة / بيروت . لبنان.

٨٠. كشف المحجة لثمرة المهجة / السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) / نشر وطبع المطبعة الحيدرية لسنة ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م / النجف الأشرف.

٨١. كمال الدين وتمام نعمة / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي لسنة

١٤٢٤هـ / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٨٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / تأليف: علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) / ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م / بيروت ـ لبنان.

٨٣. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري المصري (ت ٧١١هـ) / تحقيق: عامر أحمد حيدر / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الاولى / بيروت ـ لبنان.

٨٤. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد رضي الدين أبي القاسم بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) / نشر وطبع: أنوار الهدى لسنة ١٤٢٣هـ / الطبعة الثانية / قم المقدسة ـ إيران.

٨٥. لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام / السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ) / تحقيق: السيد حسن الأمين نشر وطبع: دار الأمير لسنة ١٤١٧هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٨٦. مباني تكملة المنهاج / تأليف: السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ) / نشر وطبع: المطبعة العلمية لسنة ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م / الطبعة الثانية / قم المقدسة ـ إيران.

٨٧. مثير الأحزان / تأليف: نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ) / نشر وطبع: دار العلوم لسنة ١٤٢٣هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٨٨. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة / تأليف: السيد شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ) / مراجعة وتحقيق: محمود بدري / نشر مؤسسة المعارف الإسلامية لسنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م / طبع: مطبعة عترة / الطبعة الأولى / قم المقدسة ـ إيران

٨٩. مجلة المعرفة، المعتقدات الدينية لدى الشعوب / تأليف: مجموعة مؤلفين /

ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام / نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الأولى / الكويت.

٩٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف: الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) / تحقيق عبد الله محمد الدرويش / نشر وطبع: دار الفكر لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٩١. مجموعة الفتاوى / تأليف: ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) / نشر وطبع: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٩٢. المحاسن / تأليف: الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ) / تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) / نشر وطبع: دار الكتب الإسلامية لسنة الطبع: ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م / طهران ـ إيران.

٩٣. المحبر / تأليف: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥هـ) / نشر وطبع: مطبعة الدائرة لسنة ١٣٦١هـ، ذي القعدة.

٩٤. المحصول / فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) / تحقيق: دكتور طه جابر فياض العلواني / نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٨٢م / الطبعة الثانية / بيروت ـ لبنان.

٩٥. المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء / تأليف: أبي الفدا (ت ٧٣٢هـ) / نشر دار المعرفة للطباعة والنشر / طبع: شركة علاء الدين للطباعة والتجليد / بيروت ـ لبنان.

٩٦. مروج الذهب ومعدن الجوهر / تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) / تحقيق: أمير مهنا / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٩٧. مستدرك سفينة البحار / علي نمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ) / تحقيق وتصحيح: السيد حسن بن علي النمازي / نشر وطبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م / الطبعة الأولى / قم المقدسة . إيران.

٩٨. المستدرك على الصحيحين / تأليف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م / الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.

٩٩. المستدرك على الصحيحين / تأليف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م / الطبعة الثانية / بيروت . لبنان.

١٠٠. مسند أبي يعلى / تأليف: أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) / تحقيق: حسين سليم أسد / نشر وطبع: دار المأمون للتراث.

١٠١. مسند أحمد / تأليف: احمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) / نشر وطبع: دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت . لبنان.

١٠٢. مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع / تأليف: محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ) / تحقيق: مؤسّسة العلامة المجدّد الوحيد البهبهاني رحمه الله / نشر وطبع: مؤسّسة العلامة المجدّد الوحيد البهبهاني رحمه الله لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م / الطبعة الأولى.

١٠٣. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ) / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م /

الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

١٠٤. مصباح الفقاهة في المعاملات / تأليف: السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ) / الطبعة الأولى المحققة / نشر: مكتبة الداوري / طبع: المطبعة العلمية / قم المقدسة ـ إيران.

١٠٥. المصنف / تأليف: الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) / تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي / نشر وطبع: المجلس العلمي لسنة ١٣٠٩هـ، ١٨٩١م / الطبعة الأولى / جوهانزبورغ ـ ألمانيا.

١٠٦. معاني القرآن / تأليف: النحاس (ت ٣٣٨هـ) / تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني / نشر وطبع: جامعة أم القرآن لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م / الطبعة الأولى / المملكة العربية السعودية.

١٠٧. معجم البلدان / تأليف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) / نشر: دار صادر لسنة ١٤٢٨هـ / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

١٠٨. المعجم الكبير / تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي / نشر وطبع: الدار العربية للطباعة لسنة ١٣١٩هـ، ١٩٠١م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

١٠٩. معجم اللغة العربية المعاصر / تأليف: الحبيب النصراوي / نشر وطبع: مطبوعات مجمع اللغة العربية لسنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م / الطبعة الأولى / دمشق ـ سوريا.

١١٠. معجم مقاييس اللغة / تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) (ت ٣٩٥هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: مكتبة الإعلام الإسلامي لسنة ١٤٠٤هـ، ١٩٣٨م.

١١١. مقاتل الطالبيين / تأليف: أبي الفرج الأصفهاني / نشر: دار التربية / الطبعة الأولى / بغداد . العراق.

١١٢. مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام / أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد العامري الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ) / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / نشر وطبع: دار المحجة البيضاء لسنة ١٤٠٢هـ / الطبعة الأولى / بيروت.

١١٣. مناقب آل أبي طالب / تأليف: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) / تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف / نشر وطبع: المكتبة الحيدرية لسنة ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م / النجف الأشرف . العراق.

١١٤. موسوعة العلوم النفسية / تأليف: هيجل / ترجمة د. إمام عبد الفتاح / نشر: دار التنوير لسنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م / الطبعة الثالثة / بيروت.

١١٥. موسوعة الملل والنحل / تأليف: أبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) / تحقيق: محمد سيد كيلاني / نشر وطبع: دار المعرفة / بيروت . لبنان.

١١٦. الميزان في تفسير القرآن / تأليف: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م / الطبعة الأولى / بيروت . لبنان.

١١٧. النصائح الكافية / تأليف: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي (ت ١٣٥٠هـ) / نشر وطبع: دار الثقافة للطباعة والنشر لسنة ١٤١٢هـ / الطبعة الأولى / قم المقدسة . إيران.

١١٨. النهاية في غريب الحديث / تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي / نشر وطبع: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م / الطبعة الرابعة / قم المقدسة ـ إيران.

١١٩. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة / تأليف: الشيخ المحمودي / نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان.

١٢٠. وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه / تأليف: السيد نبيل الحسني / نشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة الحسينية المقدسة كربلاء، العراق / طبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

١٢١. وفيات الأعيان / تأليف: ابن خلكان / تحقيق: إحسان عباس / نشر: دار الثقافة / بيروت ـ لبنان.

١٢٢. ينابيع المودة لذوي القربى / تأليف: القندوزي / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسني/ نشر وطبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤١٦هـ / الطبعة الأولى.

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة الكتاب ٦

المبحث الأول

مصطلح الخطاب الديني، ما هو؟

المسألة الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون ١٣

أولاً: الخطاب لغة.. ١٣

ثانياً: الخطاب في القرآن الكريم.. ١٥

ألف:.. ١٥

باء: ١٦

جيم: ٢٤

دال: ٢٤

هاء: ٢٥

ثالثاً: ما هي الخطابة؟.. ٢٥

المسألة الثانية: ما هو الدين كي يتصف به الخطاب فيكون دينياً؟ ٢٧

أولاً: تعريف الدين... ٢٩

ثانيا: الاتجاهات المعاصرة لبيان معنى الدين وفهمه.. ٣٣

ألف: فكرة الدين بمنظار رأسمالي برجوازي.. ٣٤

باء: التفسير الأنثروبولجي للدين.. ٣٥

جيم: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين ٣٦

المبحث الثاني

مرجعية الخطاب الديني ومناهله

المسألة الأولى: دور القرآن في مرجعية الخطاب الديني.............................. ٤١

المسألة الثانية: دور السنة النبوية في مرجعية الخطاب الديني ٤٤

المسألة الثالثة: دور السلف في مرجعية الخطاب الديني................................. ٤٩

أولاً: السلف لغة.. ٤٩

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها ٥٠

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنة والجماعة في حصر الخيرية في أهل القرون الثلاثة الأولى.. ٥٥

١ ـ قال ابن حجر العسقلاني ٥٦

٢ ـ قال ابن عبد البر.. ٥٧

٣ ـ قال المناوي والكلاباذي وغيرهما ٥٨

٤ ـ قال السرخسي.. ٥٨

٥ ـ قال ابن تيمية.. ٥٨

المبحث الثالث

آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني

أولاً: كتمان الحقائق...٦٨

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفة...٦٨

ثالثاً: ذريعة الاجتهاد الخاطئ وصريح مخالفته للقرآن والسنة ٧١

المبحث الرابع

تقديس النص أم نص القداسة ودوران الخطاب الديني بينهما

المسألة الأولى: القداسة الذاتية والإلتصاقية ٨١

المسألة الثانية: القداسة بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين........................٨٨

المسألة الثالثة: إعمال العقل أم حاكمية الجهل ٩١

الشاهد الأول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابة وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهاداً فيخالفان أمره.................................٩٢

الشاهد الثاني: ما رواه البخاري في اتهام الصحابي ذي الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله..٩٦

المبحث الخامس

تجديد الخطاب الديني أم تجديد البنية الفكرية والمعرفية؟

المسألة الأولى: اتخاذ الخطاب الديني وسيلة لبلوغ السلطة ١٠٣

الشاهد الأول: استخدام الخطاب الديني في حسم أمر البيعة في مجتمع الكوفة بين عائشة وعمار بن ياسر وتباين قوة تأثير هذه الخطابات في الناس ١٠٥

الشاهد الثاني: استخدام الخطاب الديني في خروج طلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطة..................١١٢

الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبير لوسيلة الخطاب الديني في حربه لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لأجل تولي أمر المسلمين ١١٤

١ ـ تغييره لبناء الكعبة المشرفة ١١٦

٢ ـ حبسه لعبد الله بن عباس وولده في الشعب واضرامه النار عليهم...........١١٧

٣ ـ تركه للصلاة على محمد وآله أربعين جمعة..١١٧

٤ ـ محاربته الشديدة لحبر الأمة عبد الله بن عباس ١١٧

٥ ـ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف..١١٨

المسألة الثالثة: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد في الخطاب الديني الذي سنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ١١٩

أولاً: من هم أهل الدين الذين عرّفهم القرآن للناس؟ ١٢٠

١ ـ إنهم مطهرون من الآثام وكل شيء قذر..١٢٣

٢ ـ العلم بالقرآن والسنة ١٢٣

٣ ـ الصدق ١٢٤

ثانياً: خير ما نستدل به على معرفة الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى خاصة أصحابه وشيعته وفيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...١٢٧

المبحث السادس

دور خطاب العقيلة زينب عليها السلام في إصلاح البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي في الكوفة

المسألة الأولى: من هي العقيلة زينب عليها السلام؟ ١٣٩

المسألة الثانية: مقومات الإصلاح للبنية الفكرية في خطابها الديني لمجتمع الكوفة١٤١

الأداة الأولى: الصدمة الثقافية (Inter cultural communication)................. ١٤٢

أولاً: تعريف مصطلح الصدمة الثقافية ١٤٢

ثانياً: جذور الصدمة الثقافية تعود للقرن الأول للهجرة النبوية ١٤٣

الأداة الثانية: استرعاء الانتباه الجماهيري ١٤٦

الأداة الثالثة: النافذة الانفعالية ١٥١

الأداة الرابعة: المنظور التطوري النفسي ١٥٣

الأداة الخامسة: بث الروح في الضمير الجمعي ١٦١

أولاً: تحريك نبض التوحيد ١٦٥

ثانياً: بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى بيد المسلمين ١٦٦

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار ١٦٧

الأداة السادسة: التعزير النفسي ١٦٨

أولاً: التعزير لغة ١٦٨

ثانياً: التعزير عند الفقهاء ١٦٨

الأداة السابعة: تشخيص الرذائل التي أصابت أهل الكوفة إلى أخلاق فردية واجتماعية وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع ١٧٢

الأداة الثامنة: تجمير المشاعر واصدام النفوس....................................... ١٧٤

الأداة التاسعة: تعظيم حرمة أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ١٧٦
الأداة العاشرة: إظهار عقوبة قتل العترة النبوية في الدنيا والآخرة ١٨٢
الأداة الحادية عشرة: حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرمة عترته وإن آثار هتكها عند الله تعالى كآثار جريمة الشرك ١٨٤
المسألة الثالثة: كيف استطاعت العقيلة زينب عليه السلام بخطابها الديني تغيير الاتجاهات والقيم في المجتمع الكوفي؟ ١٩٠
أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه ١٩٢
ثانياً: شواهد ظهور الاستجابة المسيطرة وتغيير الاتجاه في المجتمع الكوفي بعد خطاب العقيلة زينب عليها السلام ١٩٨
الشاهد الأول: التغيير العام في سلوك أهل الكوفة ١٩٨
الشاهد الثاني: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام ١٩٩
الشاهد الثالث: حسبك يا ابنة الطاهرين ٢٠٠
الشاهد الرابع: تفجر شرارة الانتفاضة على والي الكوفة بلسان عبد الله بن عفيف الأزدي ٢٠٠
الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفة يظهر ندمه وخسرانه في طاعته لابن زياد ٢٠٢
ثالثا: اجتماع المكونات الأساسية للاتجاه النفسي نحو العترة بفعل الخطاب الديني للعقيلة زينب عليها السلام ٢٠٣
المكون الأول: المكون المعرفي ٢٠٤
المكون الثاني: المكون الوجداني الانفعالي ٢٠٥
المكون الثالث: المكون النزعي السلوكي ٢٠٦
المصادر ٢٠٩

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني

١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي

٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة — ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد — البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية — طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق — طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم — طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية — طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسرالصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي

٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم مصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الامام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي

٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن ابراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزئين	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار - جزئين	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر

١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني